صابر ینال

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م
ردمك 5 -525-79-9947-978 : (ISBN)

اسم العمل: صابر ينال
اسم المؤلف: فردوس موسلمـال
تصميم الغلاف: أكرم قواسمية
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: أحمد منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

فردوس موسلمال

صابر يسال

روايةٌ

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

المثقف

الإهـــداء

إلى قارئ كتابي أولا أشكرك لشراء كتابي، ثم إني أنصحك بعدم الملل لأن العمل هذا من أولى بداياتي، ولن يكون الكمال بأول خطوة ثم إن الإنسان لا يصل إلى أعلى الدرج من درجة واحدة... ثانيا إلى الغاليين على قلبي شكرا لأنكما بجانبي تشجعانني بجمال قلبيكما، تمنعان عني الحزن، تحققان لي ما أتمنى، دمتما تاجين فوق رأسي لن يتغيرا مع الزمن، وإلى كل من شجعني على الكتابة وتقبل تقلبات مزاجي إن لم أجد ما أكتبه... لكل من شعر أن الإهداء إليه فهو

كذلك دمتم خير سند لي... مع تحياتي للقارئ.

مقدمة

روايتي هذه ستكون كأول تجربة لي في عالم الروايات، ولن تكون آخرها بإذن الله، لن أصفها لكم بل سأترك لكم عنصر التشويق لقراءتها وأي انتقاد أنا أتقبله... إن لم تكن بذلك المستوى نأمل التطور...

روايتي أحداثها استنباط لبعض الأحداث التي تقع، ليس الهدف من حديثي عنها إلا أخذ العبرة وتصحيح بعض المعتقدات أو قضايا اجتماعية قد تكون في المجتمع...

روايتي ستنقسم إلى فصول، كل فصل يتضمن حكمة وعنوانا أنطلق بهما سأكون فيها واقعية بعيدا عن الخيال...

قد تكون هناك بعض المشاكل يمكن حلها بالصبر فالصابر ينال...

★ والله لا يخيب عبدا صبر ★

شخصيات الرواية

● صابرينال: فتاة في مقتبل العمر أو في العشرينيات من عمرها، ستقتبس دور الفتاة المجتهدة قد تحدث معها مشاكل وتخبأ عنها أسرارثم مع مضي الوقت سيكشف، عندها لكن بعد فوات الأوان.

● جيسيكا: من اسمها يبدو أنها فتاة غريبة بالمختصر ستكون هي صديقة صابرينال بعد رحيلها إلى مكان آخر... فتاة ستلتزم بالإسلام رغم كرهها للمسلمين كيف ذلك؟ تابعوا الرواية لتعرفوا أكثر.

● دنيا: أقرب واحدة إلى قلب صابرينال هي تكون ابنة خالتها، ستبتعد عنها بالمسافات، أصعب شيء هو التعود على ذلك لكن القريب قريب بالقلب والروح... ما الذي سيحدث معها تفاصيل روايتي تحكي ذلك؟

●الجدة تيتا(زينة): جدة الشقيتين صابرينال ودنيا من أصول ألمانية الراعية والكافلة الوحيدة لصابرينال، تهربان من واقع الحروب للاستقرار في ألمانيا بلدها الأصل ولازالت تحمل الكثير في شخصيتها.

● إياد: أخ دنيا يتعرض لبعض النوبات التي تذبذب حياته وترجعها مأساة بعد أن كانت سعادة لا مثيل لها، ثم هل لسعادته مجال للعودة؟

شخصيات ثانوية

-خادمة الجدة.

-الخالة زينب.

-العم يعقوب.

-صابرينة.

-والداي صابرينال.

-السيدة روزا.

-رهف.

-أسيل.

قد تكون حكاية كل شخصية محزنة ومأساوية بعض الشيء لكن مفاد الرواية الصابرينال.

الفصل الاول

الغربةُ

في غربة عن أهل، عن أحبة، عن وطن... نصمد لحظة... نتهاوى لحظات... نبتسم وهلة... ونبكي لأيام...

بعد وصولها من سفرها أول ما فكرت به هو الاتصال بمن تركت خلفها... كصديقة وأخت وتوأم روح إنها ابنة خالتها "دنيا".

-ألو...دنيا سلام !.

- أهلا كيف حالك؟ هل وصلتما؟.

- نعم الحمد لله الرحلة كانت جيدة...قبل ربع ساعة حطت طائرتنا بسلام والحمد لله الآن نحن متجهتان إلى غرفة الفندق في انتظار السائق ليوصلنا إلى منزلنا وقد يكون ذلك بعد ساعات فقد اعتذر منا لحدوث ظرف طارئ له يمنعه من الحضور الآن.

-عساه خيرا إن شاء الله... المهم حينما تصلان إلى البيت اتصلي بي لأطمئن عليكما.

-أوكي حاضر؛ الآن سأغلق بلّغي تحياتي وسلامي إلى خالتي... في أمان الله.

في الطريق إلى الغرفة استمتعت صابرينال بجمال البلد الذي سيحتويها... لم يكن بلدها بذلك القدر من الأمن والسلام، لكن هذه هي الحالة التي آل إليها البلد للأسف، فقد كان عندها أغلى من النفس والنفيس ومغادرتها له لم يكن بالشيء الهين عليها... وصولا إلى وجهتها كانت قد تعلمت القليل من الكلمات الألمانية، لكن طبعا طريقها لم يكن بذلك الهدوء التام، كانت هناك بعض المداخلات بينها وبين جدّتها تلطيفا للجو...

في غربة عن أهل، عن وطن، عن أحبة، وجب عليهما الصمود للحظات والابتسام لوهلة ثم البكاء لأيام كلما تذكرتا عائلتهما في سوريا...

كان البيت الجديد في قرية هينترستين قرية تملؤها الأشجار، جمالها لوحة طبيعية... يلتقي فيها كل ما هو جميل.

بيوت متفرقة وأخرى متجاورة لا يمكن وصفها إلا أنها استوحت من الطبيعة لونا جميلا فتكتمل اللوحة... أما الجبال فهي بمثابة حارس قوي يمنع عنها الكثير... والشمس إن سطعت لا يكفي القلم لوصف جمالها وروعتها... أشعّتها نور على تلك القرية وضوؤها حياة لها...

دخلتا البيت وكلّهما سروروبهجة... بيت جديد، مدينة جديدة، وبالأحرى بلد جديد... لكن ليس كل ماهو جديد جميل فقد تركتا وراءهما جبلا من الأحاسيس والدموع فور ابتعادهما عن بلدهما...

- سأتصل بدنيا لأخبرها عن البيت الجديد وأطمئنها عن حالنا.

مضت الساعات وهما على الهاتف تتبادلان الحديث... أخبارحسنة وأخرى تتقطع من أجلها الأنفاس... حالات تسمعها لم تستطع التمسك إلا بذكر المولى، لطفا عليهم وحفظا للمسلمين... حربان تعيشهما في نفس الوقت... إنها تلك الفتاة التي فقدت أعزّ ما تملك... كما أوهموها عندما افتقدت واشتاقت... إنهما والداها اللذان لم ترهما منذ صغرها... وحرب أخرى يعيشها بلدها الذي أحبته ويحمل كل روعات عمرها هناك بين سطوره... إنها حرب دمار استطاعت أن تدمر بيتها... أن تفرّق بينها وبين أعزناسها...

دراستها أو حتى صديقتها... تذكرت حينها أسيل وما قضته معها من أيام لا تعرف أتبكي لفقدانها لها، أم تسعد بذكرياتهما الجميلة... فقد كانت لها كل شيء... لكن فرقت بينهما الأيام... كانتا تتشاركان كل شيء، ما يتعب الاخرى وما يسعدها هي، كان للأحلام أيضا نصيب من المشاركة. أو أن ترقصا على الأنغام لرواية القصص وتبادل الحكايات بعيدا عن حياة الأوهام... إنها تلك الفتاة التي رأتها اختا مهما افترقتا... لكن شاءت الأقدار أن تبتعدا... فاللهم الرحمة عليها وجنانا أسكنها... وعدتها بعدم نسيانها مهما كلّفها الأمر، فالقريب من القلب لن يكون بعيدا مهما كان... ثم كان لها أن تجد صورا احتفظت بها في علبة الذكريات... سواء وقت اتفقاهما... أو حتى يوم تشاجرهما... لكن أروع تلك اللحظات عند فقدان ذاكرتهما يوم تشجارهما... لتعودا في الغد مثلما كانتا أو أكثر... جعل تذكرها ذاك تساقط دموعا من عينيها...

وضبت غرفتها بعد أن مسحت عنها دموعها... آملة للأيام القادمة أفضل المرور... مصاحبة ببسمة السرور... لن تمر سريعة كما اعتادت عليها... لكنها ستحاول كلّ مرة التأقلم مثلما اتفقت مع جدتها... ثم كان لطاولة الأكل تحضيرا خاصا لها... فقد كاد الجوع أن يقطع الأحشاء... أفضل ما احتوته الطاولة حساء الخضرة الخاص بجدّتها الذي تحسن طهيه كأفضل طباخة...

- هل أعجبك حسائي؟.

- كيف لا يعجبني وأنت من قام بتحضيره أميرتي...

- بالعافية.

مضى وقت الإفطار وهما تتحدثان وتخططان لمستقبلهما المجهول في أمل قدومه في أحسن حال...

★★★★★

دعونا نعود الآن إلى منزل دنيا فإن كان به إلا هي ووالديها لكن ينقصه أخوها إياد... في ذلك المنزل تعدّدت الكثير من المغامرات والمقالب، شقية تلك الفتاة جميلة بضحكتها... خفيفة بظلها وسعيدة بنفسها...

- ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟ ساعة في الهاتف تارة ضحك وأخرى بكاء... ما كان وراء كل هذا؟.

-هههه ليست سوى بعض نكتي التي كنت ألقيها عليها... لأرفّه عنها فأنا أشعر أنها ليست سعيدة ببعدها عني... دعيني لا أشعرها بتلك الفجوة التي بيننا، فلنكن قريبتين بالهاتف على الأقل مرتين في الأسبوع... فانتظري تلك الأيام وساعاتي الطويلة على الهاتف... الشعور بالغربة شيء صعب... قالت ذلك وهي تغلق باب الغرفة تاركة أمها.

- ستجنّني هذه الفتاة أنا أتحدث وهي تخرج تتركني وراءها... ما هذا؟ قالت ذلك وهي تهز رأسها.

فجأة دقّ جرس البيت... التقتا في رواق البيت مستفسرتان عن القادم...

-أقمت بدعوة أحد؟ وأنا لا أعلم...

-علمي علمك سأرى من الطارق... قادمة قادمة.

فتحت الباب ولم يكن الطارق إلا أشخاص جاؤوا لزيارة العم يعقوب الذي كان طريح الفراش.

- تفضلوا معي إنه في غرفة الاستقبال... أفسحت لهم الطريق بعد أن ساعدت زوجها على الجلوس...

كانت قد مرّت فترة عليه وهو لايقوى على الحراك مرض أصابه منعه من دوام صحته وحركته... فاللهم شفاء عاجلا له.

حضرت لهم القهوة بعد أن صنعتا طبقا من الحلويات لتضيف حلاوة لفنجان القهوة...

لم يكن للزيارة وقت طويل... فللمريض حق بالوقت القصير... حان وقت دواء العم يعقوب، ساعدتها دنيا في تقديمه له... حالة العم يعقوب تعقدت مع مرور الأيام... عجز الكثير من الأطباء عن إيجاد الدواء المناسب لكن زوجته وابنته لم تفكرا يوما بتركه مهما كانت حالته، يكفيهما بعد إياد عنهما...

فهما تعملان المستحيل من أجل دوائه وتخفيف الكثير عنه أو حتى مواعيد الطبيب رغم الظروف التي تحتمت عليهما...

حتى أنهما فكرتا لأخذه في عمرة، فقد كان هذا حلمه منذ زمن...

وكما كان الحال حجزت له تذكرة السفر إلى البقاع المقدسة وحان موعد الرحيل إليها...

إنه اليوم الذي ينتظره كل واحد منا... حلم لطالما تمناه جميعنا... تقرب أكثر من الله هذا ما يشعرنا... كعبة شريفة نبصرها أمام أعيننا... عظمة نستشعرها بقربنا منها... ومن جمالها الساحر لنا... لن يتحدث بهذا إلا من كان له الحظ منا... وصولا إلى ذلك المكان سبقنا...

مرت الأيام تتبعها الأخرى... وفي كل مرة أمل جديد، دعاء جديد للعم يعقوب بالشفاء... لم يكن منهم إلا تقديم الدواء والتقرب بالدعاء...

اتصلت دنيا بجدّتها وقريبتها وكل العائلة أينما كانوا مطمئنة إياهم بتحسن صحة العم يعقوب وأنه في حالة أحسن مما كان عليه، مخبرة إياهم أنهم على موعد قريب من العودة إلى الديار فقد مرّ الوقت سريعا لم يشعروا به إلا بعد أن تبقّى على السفر يومين أينما استطاعوا فيهما استجماع أنفسهم.

زيارة أخيرة إلى الكعبة ولحظهم كانت آخر لحظات الوداع تساقط زخات المطر مشاركة إياهم دعواتهم... فما أجملها تلك اللحظة يتمناها الكثير منا أين تلتقي عظمات المولى (مطر جميل يتساقط عليك وأنت بالكاد تدعو ربك)... ما أبهاها من مصادفة !

كانت العودة إلى المنزل أسهل بالكثير من الخروج منه، وجدوا الكثير في استقبالهم أصدقاء للعائلة أو العائلة بحدّ ذاتها، كان ذلك ما استطاع

رسم البسمة رغم تعبهم... مضت اللحظات والكل مستمتع حتى فوجئوا بدخول شبح شخص لم يعرفوه من الوهلة الأولى لكن صرخات تعالت تبعتها زغاريد فرح كبير قد أتى بعد أن كان لا أمل من عودته، نعم إياد بعد أن أمضى سنوات الحرب أسيرا أين اعتقلته السلطات... كيف؟ ومن ساعده؟ لم يستطيعوا أو لم يحاولوا معرفة ماجرى من أحداث إلا أن الخالة زينب اغرورقت بالدموع تعانق ابنها تارة وتزغرد أخرى... كانت حركة دنيا أجمل من أن تذكر فقد وقعت ساجدة داعية لله على فرحتها بأخيها... شاكرة له هي وأمها على عودة فلذة كبدها ولم تكن فرحة العم لتوصف... ابنه قبل سنوات لم يره وكان أحد أسباب مرضه إلى أن انهارت صحته وتدنت معنوياته... أما عن إياد فدموعه سبقته لرؤية والده على تلك الحال بعد أن كان أفضل وأحسن صحة منه... فرحة العائلة الكبيرة حينها كانت فرحتين عودة الأسير وإطلاق سراح القلوب التي كانت متصلة بالمسجون في انتظار تسريح لها...

★★★★★

كان اليوم يوما جديدا يحلّ عليها على غير الأيام الأخرى... يوم ستلتحق فيه بجامعتها جامعة أوغسبورغ الألمانية... أين ستواصل فيه حلمها الذي تمنّته منذ زمن... أن تصبح إعلامية تنشر أخبار المشاهير وتوصل رسالتها... ما أرادته هو أن تعطي كل ذي حق حقه... واقفة مع الحق زاهقة لباطله...

كانت مدة توثيق التسجيل طويلة... في كل مرة حاولت العودة إلى دروسها في اللغة الألمانية، ففي التواصل مع الآخرين حاجة لها أما عن الجامعة فبالإنجليزية تعليمها...

اليوم الأول من الدخول الجامعي استقلت القطار بعد أن كان التنقل بالحافلة إلى المحطة...

دخلت قاعة المحاضرات لحضور أول محاضرة لكن مازال الوقت مبكرا على دخول الأستاذ المحاضر، وجدت لها مقعدا بجانب فتاة كانت هي أيضا وحيدة آنذاك ظنتها جديدة مثلها لكن بالتحدث معها وجدتها أنها افترقت عن صديقتها العزيزة منذ شهور لانتقالها لمكان آخر للعيش فيه... واستها حينها مبادلة لها شعور الابتعاد عن الأصدقاء واعدة إياها أن تكون أفضل صديقة لها...

- أوه نسيت أن أسألك ماهو اسمك آنستي؟.

- لا؛ لا عليك مع جيسيكا وأنت عرّفينا بك.

- اسمي صابرينال تشرّفت بك أنا من سوريا وأنت؟.

كلمة سوريا أثارت في قلب جيسيكا الرعب فحاولت الابتعاد عنها... فهم كما يعلمون أن سوريا تعيش حربا هاته الأيام... خافت أن تكون هي أيضا من هؤلاء الإرهاب... طمأنتها صابرينال وأثبتت لها بكل الطرق أنها ليست من هؤلاء، وإنما هي هربت خوفا من مصير حياتها فلو كانت إرهابية للبثت هناك، ما السبيل من الهرب إذن...

مضى الوقت وهما تتحادثان حتى عرفت أنها من أصول مسيحية...
دخل الأستاذ المحاضر وألقى محاضرته بكل طلاقة مع تجاوب طلبته معه من أسئلة تطرح منهم وإجابة يتنافس عليها كل واحد منهم... كانت مدة المحاضرة ساعة ونصف مضت من أجمل ساعات يومها وخصوصا في تلك الجامعة...
كانت العودة إلى المنزل اليوم باكرا فمحاضرة واحدة كانت مقررة عليها... ودعت صديقتها الجديدة على أمل اللقاء غدا بحول الله في نفس الموعد فللغد حكاية أخرى ومحاضرات أخرى...
لابد للغريب أن يتعرف على مكان غربته... يتجول في مناطق مدينته الجديدة...أناسها أجواؤها عله يتعود على ذلك في أقل مدة استطاع...
التقت مع جدتها أمام باب الجامعة كما خططتا لذلك مسبقا... كانت الوجهة إلى أكبر المحلات التجارية لشراء بعض اللوازم من مواد غذائية وملابس وبعض الأشياء الناقصة بعد أن أوصلهما سائقهما...
لا ينكر اثنان أن النساء إن ذهبن إلى السوق نسين أنفسهن، كذلك حال الاثنتين لم يشعرا بالوقت حتى أذن المؤذن لصلاة العصر...
-فلنذهب إلى أقرب مصلّى لقضاء صلواتنا ثم إلى المطعم لنسد جوعنا... قالت صابرينال وهي تبحث عن أقرب مسجد ب **GPS**.
كانت الساعة تشير إلى السابعة إلا ربع مساء عند ركوبهما السيارة....

كان مكان صابرينال أمام النافذة كعادتها، فلم تكن تتخيل طريقها دون رؤيتها لتلك المناظر الخلابة من مساحات خضراء ترعى فيها الأبقار أو أشجار تزيد المساحة تزيينا...

كان لمكتب صابرينال يومها نصيب من الجلوس فيه بعد أن كان الإهمال منها لكثرة انشغالها بأوراق الجامعة... لم يكن للمكتب نصيب فقط بل حتى أوراق الرسم كانت العودة إليها بعد غياب طويل... لم تجد ما ترسمه حينها إلا خربشة مليئة بالألوان السوداء والقليل من الألوان الجميلة، لم تأخذ منها تلك الرسمة إلا بعض الوقت لكنها كانت توحي بعقل مشوش مضطرب لا يعرف الهدوء ورغما عن كل ذلك استطاعت رسم ابتسامة برزت كنجم مضيء في الليالي الحالكة...

أنهت الرسمة بكل تفاصيلها ثم أرسلتها إلى ابنة خالتها مشجعتها الوحيدة، بعد أن أخذت لها صورة مميزة يكاد الذي يراها يظنها حقيقية...

كانت الرسالة قد وصلت إلى صاحبتها حتى أنه تم رؤيتها، لكن لم يكن هناك رد من الطرف الآخر... لم ترد إزعاجها بكثرة الرسائل ظنا منها أنها مشغولة بمساعدة أبيها... مضت الساعات ولم يكن هناك رد أقلق أمرها فهي لم تعتد على ذلك... مابها؟ ما الذي أصابها؟ أهي منزعجة منها؟ هذه المرة حاولت الاتصال بها وكان هذا كآخر حل لها...

يرن الهاتف مرات لكن لا رد... أعادت الكرة مرات ثم أخيرا كان هناك رد.

-ألووووو... ما بك؟ ما لذي حدث؟.

كان الرد على سؤالها آهات أطلقتها وصرخات يسمع دويها... لم يمرعلى عودتهم من العمرة وجمع شملهم مرة أخرى إلا أيام وها هي الآن تفقد جذرا من جذورها والدها العزيز سندها في الدنيا بعد أن كان يصارع المرض ووقت اتصالها بها كات آخر لحظاته في اجتماعهم به...

- رحمة الله عليه جعله الله من أهل الجنة وأكرم مثواه... كان لي بمثابة الأب الذي فقدته يوما... إنا لله وإنا إليه راجعون... بلغي تعازي لخالتي وإياد ثم إنني سأتصل في وقت لاحق... صبرا حبيبتي.

وضعت الهاتف ولا زالت فاجعة الأمر تحلّ برأسها، قضاء الله وقدر فماعساهم أن يفعلوا إلا الصبر...

ذهبت إلى غرفة جدتها لتخبرها بالأمر فوجدتها قد علمت بذلك وكان إياد من أخبرها... جلستا معا وهما تدعوان له بالرحمة والمغفرة فكل واحدة منهما كان لها بمثابة العزيز الذي فقدته، الجدة كان ابنها الذي لم تمتلكه يوما أخا لابنتها والأخرى كأب لها...

وهما جالستان يرن هاتف صابرينال بوصول رسالة من عند جيسيكا تدعوها إلى الخروج معا... ذلك النوع من الرسائل كان غريبا عليها فهي لم تعتد على الخروج في ذلك الوقت من الليل...

" أعتذر لا يمكنني فالوقت متأخر الآن نلتقي صباحا إن شاء الله".

مضى الليل هادئا كهدوء القرية... صوته لم يكن إلا صوت شلالات الماء التي تملأ المكان كله نعيما... ثم إنه الصباح أين تشرق الشمس ناشرة أشعتها في كل القرية...

عندما تستيقظ صباحا على أمل يوم جميل في مدينة غريبة وبلقاء أصدقاء جدد من أجناس مختلفة، ثقافة أخرى حتى أنه يمكن أن تكون لغة أخرى على غيرلغتك الأم... من الرائع كلما اختلفت أنت ومن معك تعرفت أكثرفقهت أكثر، حتى أنه كل يوم يكون لك نشاط مختلف تبحث فيه عن الاكتشاف... لكن الأصعب هنا عندما تبتعد عن مكان تعودت عليه أو بالأحرى ترعرعت فيه، كبرت فيه، قد لا تكون كلماتي كافية لأن أحكي حجم الفراغ الذي قد تعيشه أول أيامك لكنني تذكرت حينها عندما افترقت عن منزلي وجيراني والأدهى من ذاك أنني وجدت معظم أوجل من هو معي يعيش نفس حالتي!...

★★★★★

الصداقة

عندما يؤلمك النظر للماضي... وتخاف ممّا سيحدث في المستقبل...

انظر لجانبك وصديقك الحميم سيكون هناك ليدعمك...

من أجمل ما تخلده الأيام... ذكريات تجعلك من أسعد الأنام... ذكريات تخزنها في ذاكرتك وتؤنسك حين الآلام... ذكريات كسرب الطيور لا يمكنك القبض عليها... لكن يمكنك الاستمتاع بمرورها... وأجملها تلك التي تكون مع الأصدقاء... أصدقاء تجدهم حين البأساء والضراء... أصدقاء يمحون بأسك ويرسمون لك البسمة... فمنهم تتعلم الدرس وتأخذ الحكمة... تجعلك تعرف كيف تمضي في الحياة قدما...

في الحديث عن الصداقة روح تتنفس وقلبينتعش... إن كان الحديث عنها يروي العطشان فإن اكتساب الصديق يعيد الحياة للإنسان... يعيد لكل شيء معناه... أيعقل أن تكون هي مصدرعيش؟ أم هي منبع ضغط التنفس؟ أم هي قلب الإنسان بحد ذاته... الدم الذي يضخه سعادة تمنع من البؤس... بهجة تفرح النفس...

قد لا يكون الحديث عنها أو الكتابة عليها يوصل الفكرة لمن أراد لكن هنيئا لمن كان له صديق ينعم به في زمن الغدروالخيانة أوزمن قلة الصداقة... لنقل عن الصداقة الحقيقية أنها تلك السحابة التي حتى وإن كانت هناك غزارة الأمطارتبقى صامدة تضيف للسماء شكلا ونوعا آخرين... ليست الصداقة أن تبقى مع الصديق في كل الأوقات.... لكن الصداقة هي أن تبقى القلوب على العهد مهما طالت المسافات... صديق يكون جانبك أوقات فرحك وسعادتك ووقت شدتك... إن تخاصمتما يوما فغدا يكون معك... دون كلام يفهمك... وبلا مشاعريشعربك... إن سمعت

اسمه ابتسمت كونه فقط صديقك... وإن كان اللقاء بينكما يوميا فهنيئا لك قربه منك...

إنه يوم الجمعة؛ بداية عطلة الأسبوع أين انتهزت الاثنتان الفرصة للتنزه في أنحاء القرية الجديدة والتعرف على ناسها فمن عادتهم الخروج كل يوم جمعة مساء إلى حديقة القرية أين يلتقي الجميع، وكل حامل لسلته المليئة بالحلويات أو حتى القهوة ثم يكون هناك تبادل المعارف... بينما هما جالستان في رحب بعد أن ألقتا التحية على من حولهم ثم توزيع الحلوى على بعض الأطفال كانت تجلس بقربهما عجوز تبدي شيئا من الغموض في ملامحها كلما نظرت إلى الجدة وهي تكاد تكون بالستينيات من عمرها... اقتربت من مجلسهما بعد أن استأذنت منهما فما كان منهما إلا الترحيب بها...

بهدوء قالت: أنا أعلم أنكما لا تعلمان عني شيئا وقد كنت أراكما منذ قدومكما بنظرة غريبة وقد يزعجكما ذلك... لكن يا سيدتي ألست زينة؟.

تعجبت الجدة فهي لا تعرف المرأة أصلا وحتى لم تتذكر أنها قد رأتها من قبل، ثم قالت: نعم معك زينة لكن عذرا فأنا لم أعرفك... حقا أتأسف.

- هيه كيف لك أن تنسي صديقتك... سأقول لك من أنا لعلك تعرفيني مجددا... إذن أنا روزا صديقتك في مرحلتي المتوسطة والثانوية، كنا من أوائل القسم وقد كان منزلانا قريبين جدا... ملامح وجهك لم تتغير كثيرا لهذا عرفتك.

-ااه أنت إذن مرحبا بك من جديد ما أجملها أيامنا تلك، حقا كانت من أروع اللحظات ليت الزمن يعود بنا إليها لتمنيت أن لا أعود إلى كبري الذي أنا عليه الآن... لكنني لم أعرفك منذ الوهلة الأولى فقد غيرك الزمن.
تركتهما تتبادلان الحديث فاتخذت من مكان هادئ تحت شجرة جميلة ورشة رسم لها لتستطيع رصد المكان من كل زواياه... كانت ألوان اللوحة مختلفة فلولا اختلافها ما كان لها جمال ولولا تعدد الألوان ما كان لها اكتمال لتكون بتلك الروعة..."كذلك هم الناس لكل واحد منهم لون خاص، لون مختلف ليس إلا لتكتمل لوحة الصانع في خلقه" هكذا كان شعارتلك اللوحة لتضيف بها فردا جديدا في معرض رسوماتها لهذا جُعل الصديق تكتمل أنت به ويكتمل هو بك... فالآن هي على شفا صداقة جديدة بعد أن أكملت لها معنى الصداقة بشكل جميل جدتها والسيدة روزا، فرغم البعد الذي كان بينهما واختلاف طريقة عيش كل واحدة منهما إنما عند التقائهما صنعتا الحدث مجددا كأن كان الفراق بالأمس فقط، حتى أن زواجهما وإنجاب الأولاد لم يغير منهما شيئا... هكذا تكون الحياة لصديقين أراد الله قربهما وتحابا من دون مصالح...
ابتسمت وهي تنظر إليهما آملة بصداقة تدوم حتى آخر كلمة تلفظ بها بعد أن أخذ منها الله أعز صديقة... لكن هكذا هي سنة الحياة يموت ناس ويحيا آخرون وبين موت الأول والتعرف بآخر فاصلة علينا نحن اختيار بدايتها على أساس نهاية الأولى، على أن تكون أفضل منها لكن دون نسيان أول طرف نشدّ به العضد.

★★★★★

مرت مراسم الدفن على العائلة كمرور السنوات فقد كانت من أصعب اللحظات...

أما عن إياد أثناء دفنه لوالده سقط جاثيا على قبره يبكي ويئن أنين الطفل الصغير من هول فزعه لفقدانه له... أيعقل أنه لن يسمعه وهو يناديه مرة أخرى؟ أما عن فراشه لمن تركه؟ حتما سيعود إليه فهو لا يستطيع النوم في مكان غير فراشه؟ ماذا عن برودة الجو كيف سيتحملها؟ فقد كانت نسمات الهواء الخفيفة كفيلة بأن يتحسسها فتصيبه بنزلات البرد، وكيف وكيف، وكيف ...؟.

- أخي هل يمكنني الدخول؟... طرقت دنيا الباب مستأذنة من أخيها.

- تفضلي...كنت على وشك مناداتك فأنا أحتاجك.

-أنا أعلم أنه ليس الوقت المناسب للحديث عن مثل هذه الأمور وأن حالتنا المادية ليست بذلك المستوى لكن عليك تدبر الأمر... أمي ليست في حالة تعجب فلتستأذن من مديرك ولنذهب في عطلة لأيام ثم نعود، فلتغير أمي الجو قليلا وترفه عن نفسها.

- وأنا كنت قد فكرت في مثل هذا لكن ما إن تعود إلى البيت، قد تعود حالتها مثلما كانت وتعود إلى عزلتها... فلنصبر معا ولنواسيها بكل ما أوتينا حتى يمكنني جمع المال فنستطيع الذهاب للعيش مع جدتي هناك... حتى أنها هي من اقترحت علي هذا، وللذهاب في أقرب وقت طلبت مني سحب نسبة من المال من حسابها لكنني رفضت، فلأعمل جاهدا وأعدك في مدة ثلاثة أشهر سنكون هناك بإذن الله.

- دمت لنا سندا يا أخي العزيز كل التوفيق لك... وأنا هنا سأساعدك بكل ماشئت.

أخذ بيديها ثم قال: مساعدتك لي تكون في الاهتمام بأمي فقط.

قطع حديثهما سماع صوت بكاء والدتهما خلف باب الغرفة بعد أن أنصتت لحديثهما.

- سامحاني يا ولداي أنا أعلم أنني عبء عليكما... لا تخافا عن قريب سأبتعد وألتحق بوالدكما فأنا لا أقوى على فراقه.

- ما الذي تقولينه سنفديك يا أمنا بكل ما أوتينا، أنت تاج على رؤوسنا فلا تعيدي قول هذا الكلام مرة أخرى... فمن تبقى لنا من بعد أبينا غيرك؟.

- نعم؛ ثم أنا وأخي نعدك أننا سنعوضك خيرا رغم أن مكان الغالي لن يستطيع تعويضه أحد... فقط كوني صبورة من أجلنا.

ابتسامة الأم حينها كانت كافية لتطمئن ولديها بصواب قرارهما وعن رضاها عنهما وعن كلامهما، ثم أن تترك لهما حرية التصرف وكلها ثقة بهما.

اجتمعت الأم بابنيها على طاولة الإفطار بعد أن أعدت كل ما يشتهيه ابنها من فطور للصباح كدعم له في أول يوم عمل له بعد مدة طويلة من غيابه.

- سلمت يداك غالية لكنني أعتذر وبشدة فأنا متأخر جدا عن العمل وإن تأخرت فستسجل علي نقطة ومنها قد أفصل؛ دعواتك لي تكفيني لقد هربت... قال ذلك وهو يأخذ بحبة الحلوى ويفر هاربا.

- يتدلل علينا؛ نعم يحق له فهو رجل البيت وأنا ماذا أعددت لي؟.

- ههه تعالي يا ابنتي تعالي أعددت لك أنت أيضا ما تشتهينه ويحق لك ولأخيك أن تتدللا على أمكما فأنتما أعز ما أملكه، وأنا وجب علي تنفيذ مطالبكما لكن لا تفيضا الكأس فقط.

- هه إن فاض سنزيد آخر أو نضاعف حجم الكأس لا أكثر... والآن علي الأكل وتحضير نفسي فالامتحان ينتظرني وأخيرا سيكون آخر امتحان.

- يارب أسألك أن تنجحهما وأن يتوفقا في عملهما ودراستهما... والآن عليك أن تسرعي وإلا تأخرتي عن امتحانك فالطريق لازالت طويلة... قبل أن تخرجي لا تنسي أن تتصلي برهف وتذهبي معها فقد كانت تتصل يوميا يوم مرضك لتطمئن عليك عرفانا على وقوفها معك... لاتفقديها!.

- فورا.

تحجبت بالحجاب الذي تعتبره كمالا لها...معطية مرة أخرى قوة معنوية لروحها... كأن يكون أول يوم تخرج فيه بعد محنتها... رغم وقوف رهف معها... وزياراتها لها في منزلها لتخفف عنها... أولتدعوها في خرجات ترفه عن نفسها ...لكن فقدان والدها أوصلها إلى حالات يرثى لها لصعوبة تقبل بعده عنها...

هذه هي سنة حياتها كنجوم مهما تغطيها الغيوم ستظل لامعة ناشرة الجمال حولها... بعيدة عن سواد السحاب الذي قد يمنعها...

لا ينكر اثنان أنه كلما غاب عزيز علينا افتقدنا... وبفراغ مكانه بيننا شعرنا... إن كان هذا الإنسان يستطيع تغيير الجو من حولنا... ما أحلى إذن قربه منا... وما أتعس بعده عنا... صحيح أنه لكل إنسان شخصية تميزه عنا... فإن تعودنا على تصرفات شخص ما يمكننا رؤيتها في كل من مرّ بنا... هذه هي شخصية دنيا العفوية... تتصرف مع أصدقاء الجامعة بكل سواسية... غيابها عنهم شكّل ثغرة... حاولوا التعود لكن كان من الصعوبة ذلك...

فور دخولها باب الجامعة رحّبوا بها من جديد كأول مرة يرونها حقا، صداقات الجامعة من أروع الصداقات وأيامها من أجمل الأيام... كانت تحيتها لهم كمن عاد من رحلة بعيدة... كمن غاب عن مدينته لسنوات مع ابتسامتها تلك التي لا تفارقها... أو جمالها كجمال القمر الذي يتباهى بزينته منعكسا بها على لحن المياه...

★★★★★

وضعت كأس الشاي المخمر على المكتب... بجانب شمعة بعثت كل أشعتها مزينة الغرفة مزيلة الضباب... كان أول أهدافها أن تغيّر نفسها تحضيرا لدخول السنة الجديدة محاولة فيها فعل الصواب... لكن ما تذكرته كان جديرا بأن يعيد الضباب... لكن هذه المرة لن يكون على الغرفة وإنما على عينيها... نعم فقد عاد بها الزمن إلى ذكريات قد مرت بها قبل سنوات من حياتها... إلى أن أدى كل هذا إلى ارتجاج في مخها... يا ليتها

لم تتذكر وأطفأت الشمعة... لكن القلب في كل مرة يكون من الإمعة... يالأسفها على تلك الأيام...

كانت تائهة بين جدران غرفتها... تبحث عمن يؤنسها في وحدتها... فتاة ارتكبت جريمة في حق نفسها...أنهكتها حتى خارت قواها... حتى أنها أفسدت عليها جمال وجهها.. هالات سود تكاد تطغى على جمال عينيها... احمرار للوجنتين من كثرة نحيبها... اليوم وبالذات تمر خمس عشرة سنة على محنتها... قد أخذ منها الدهر أغلى ممتلكاتها كما أوهموها... أو في ظروف غامضة كان اختفاء أعزّ ناسها... والديها بعد أن تركاها تتصدى لمصاعب الحياة وحدها... فقد كانت تلومهما على إهمالهما لها... وتنعتهما بقلة اهتمامهما بها... هذا ما كنته في صدرها بعد فراقهما لها... وكانت مرة أخرى في حيرة من أمرها... أتستسلم لقدرها أم أن المفتاح بين يديها...؟ دموع مهما فعلت لم ولن تستطيع كتمانها... فقد انطفأ الكون بعينيها... من تهاطل الذكريات عليها لم تستطع المقاومة... تغلبت عليها مشاعرها... كما ظنت وانتصر القلب عليها... ولم يقم الصلح بينها وبين عقلها كما طلبت هي... لم تعد تلك الفتاة المدللة كما تركها عزيزاها... كانت حياتها في محطة مجهولة لها... اتخذت منحى الجمال ورغد الحياة كانطلاقة لها... لكن آخرتها كانت أقوى من أن تتحملها... كعاصفة ثلجية جمدت جمال ورقة قلبها... إن اتصلت بها ابنة خالتها... حكت لها عن ذلك اليوم الذي كان أسوء ذكراها... ابنة خالتها تلك لم تستطع يوما التخلي عنها... كانت

قادرة على أن تفديها بحياتها... أيعقل أن تتخلى القريبة من القلب عن مكانها؟... ولم يكن للحبيبة نسيان مأساتها... رغم مرور تلك السنوات إلا أنها لم تمح تلك اللحظة من مذكرتها... كانت حينها أكبر سنا منها... كيف كان بكاء تلك الصغيرة بجانبها... ما نوع قلب والديها؟...ألم تكن فيه نسبة من الشفقة؟ أم لم يسمعا نحيبها؟... لكن عندما آلمها النظر للماضي أو خافت ممّا سيحدث لها في المستقبل كان هناك صديقتها... اتصالها ذلك كان بمثابة حياة أخرى لها... فهي تعلم أن هذا اليوم من كل سنة هو عزلتها... وهذا هو واجبها...

بعيدة عن واقعها توضأت متأهبة لراحتها... ارتمت على السجادة طالبة الهداية من ربها... مرّت بها فترة وهي خاشعة حتى أخذ النوم يداعب عينيها... استسلمت لنومها... بعد أن قضت صلواتها بين يدي ربها... كوجه ملائكي بريء غطت في نومها... استيقظت من خلوتها واجدة نفسها راكعة على سجادة مبللة بدموعها... بعد أن زادت الشمس جمالا لغرفتها... أزهار وورود تفتحت منعشة ومزينة بعطرها وجمالها بهاء وجهها... لتلاوة ما تيسر من القرآن اتخذت ركنا من مكتبها... انفردت به لنفسها بعيدا عن ضوضاء تزعجها... كان لصدى صوتها أثر كبير في قلبها أن يعيد مجددا الروح إليها... قطع رقة صوتها طرقات خفيفة من الجدة على باب الغرفة مستأذنة بالدخول.

- نعم تفضّلي... صباح الورد والفل والياسمين على ملكتي؛ كيف حالك؟ أعتذر حقا لقد أزعجتك مثلما أفعل كل سنة لكن على الأقل تكونين قد تعودت... ماذا عساي أن أفعل وأنا أرى كل من في عمري مع والديهم وأنا بعيدة عنهم ولا أعلم سبب ذلك؟؛ هذا الذي يرهقني.

- تقبل الله. صباح الخير عليك... وأنا لم أشأ أن ألح في الطلب ما دمت تعودين في الغد بصابرينال أخرى وأجدد... هيا قهوتك حاضرة فلتنزلي للأسفل دعينا لا نتعب الخادمة.

- كأنني أسمع فوضى في الأسفل؛ من الذي أتى منذ الصباح أم أنها السيدة روزا.

-نعم كذلك فلتغيري ملابسك ثم تعالي لكن عليك وضع الحجاب فابنها معها. بالرغم من الأصل الألماني للجدة لكن التزامها بالحجاب عند اعتناقها الإسلام لم يمنعها باتباع الدين على حذافره، فالحرمة واجبة أما عن سفرها هي وحفيدتها إلى ألمانيا لم يكن لوحدهما فقد كان أخوها هو من أتى بها إلى هناك... وذلك لم يمنعها من فرض الحجاب على عائلتها... كانت مسيحية الدين لكن فور اقتناعها بالإسلام تديّنت به على أساس الالتزام به كما ورد في القرآن والسنة، وهذا ما علمته لأبنائها...

كان سبب أمرها لحفيدتها بوضع الحجاب وجود ابن خالتها إياد فقد التحقوا بهم في ألمانيا ذلك الصباح، ولم ترد إخبارها بذلك لتكون مفاجأة لها كما طلبوا منها.

- ما الذي أخركما تعبنا من الانتظار؟.

-د...دنيا!. قالت ذلك وهي مستغربة لبرهة، لم تستوعب ما تراه عيناها في الليل، فقط تحدثت معها لكنها لم تخبرها... كيف ذلك؟ تحدثنا ليلا؟.

- عندما كنا نتحدث كنت في المطار بانتظار إقلاع الطائرة؛ ثم إنني أردتها أن تكون مفاجأة ألم يعجبك هذا؟ كان موعد سفرنا إلى هنا قد حدد قبل شهور، فلم أخبرك حتى أنني أعلم بيومك الميؤوس هذا، ثم منه اتفقنا أنا وإياد أن يكون يوم لقائنا حتى أستطيع أن أزيل عنك الهم لكن للأسف موعد الرحلة لم يكن إلا ليلا... والآن تعالي عانقيني حقا اشتقت إليك. فرحتها بلقاء صديقتها، أختها، توأم روحها لم تكن لتصفها كلماتي، لكن عند بعدي عن صديقتي لشهور أو سنوات ثم نلتقي مجددا حرارة الموقف وتهاطل المشاعر وحتى الدموع أحيانا كفيل أن أشعر بالرواية وأنا أكتبها أو أن يتشابه الموقفان...دامت الصداقة ودام الأصدقاء نبض الحياة.

الفصل الثالث

بلا عنوان

فؤاد الشقي الذي لم تدع من مرارة السجن أن تكون نقطة نهاية الحياة، حاولت التعود حتى أنك نشرت الأمل فينا ولكي تنزع الحزن عنا، بمقالبك قمت... مصاحبتك تنسي الهموم وتزيل ثقل المصائب... وإن أدرنا كفّة الحديث إلى الهدوء... فإنني سأتحدث عن تامر، درجة متفاوتة من السكون كان ترديده ذكر لله وآياته وعن فتحي أشكرك لأنني تعلمت منك الكثير، لطالما علمتنا الصبر مهما تعددت القوالب... إن فقدنا أحد أصدقائنا... طلبت منا الابتهال لله والدعاء له... وحفزتنا على مسح الدموع والدعاء له بالمغفرة... الصمود أمام كل شيء مهما كانت قساوته علينا... أهم درس تعلمته منك أن أحاول اختيار ما ينفعي ويمسح عني الدمعة...

هذه رسالتي إليكم فقد عدت إلى عائلتي بخير ثم بعد أسابيع من خروجي فقدت أبي رحمة الله عليه، وأنا الآن بألمانيا انتقلت إلى العيش هناك حديثا... قد تكون رسالتي متأخرة لكنكم لازلتم بالقلب، دعواتي لله بالإفراج عليكم عن قريب أخوكم إياد.

- لقد قمت بإرسال رسالة إلى أصدقائي في السجن بعد أن أرسلتها إلى سوريا على أمل أن تصل إليهم في أقرب وقت.

قال ذلك بعد أن التحق بالجماعة وهن جالسات في حديقة المنزل الصغيرة يتحدثن في أشياء كثيرة فتلك قد أكملت دراستها في الثانوية وأخرى قد التحقت بالجامعة... هكذا ودواليك.

- صحيح إياد هلا أخبرتنا كيف تمّ أسرك؟ وحدثنا عن بشاعة تلك الزنزانة؟.

لم يكن أحد يعلم بماجرى له وكيف كان ذلك حتى أنه لم يتذكر إلا القليل.

- في لقطة ليست ببعيدة عن الخيال عني... وفي لحظة لم أكن لأنتظرها أن تأتي... وجدت نفسي محاصرا بموقف لا محالة منه... لم أتذكر حينها ما جرى لكنني أخيرا وجدت نفسي في زنزانة يقابلني مجموعة من الأعداء موجهين أسلحتهم إن تحركت بعكس ما يطلبونه مني قد أعدم... هذا ماعلمته من رفقاء الزنزانة كقواعد... لم تكن الزنزانة بتلك البشاعة، بمجرد امتلاك رفقاء مثل من كانوا معي لم نشعر يوما بظلمهم لأننا تحملنا معا أو بالأحرى واسينا بعضنا البعض... كانت من أصعب فترات حياتي لكن تجاوزتها بقوتي وبمشيئة الله.

-الحمد لله الذي حماك يا بني وأعادك إلينا بصحتك وكامل قواك... وأنت الآن بجانبي.

★★★★★

- جميل هو صوت عصفورك يذكرني بأيام سوريا الغالية كلما استيقظت صباحا أسعدني سماع صوته... آاه على تلك الأيام.

- يتميز طائر الحسون بتغريد زقزقي رخيم عذب، يختلف نمطه وحدّته من طائر إلى آخر بناءً على سن الطائر، وتعتبر زقزقة طائر الحسون ذات

لحن سريع، يقوم الطائر بأدائها أثناء تحريك رأسه يساراً ويميناً، وفي معظم الحالات يسبق الزقزقة بعض السقسقة، ويليها زغردات مختلفة تزداد وتتعالى وتيرتها وحدّتها بشكل تدريجي... تتميز طيور الحساسين بصوتها العذب والجميل، حيثُ أنها تقوم بإصدار عدة أصوات متباينة، وفقًا لحركة جسمها، فعلى سبيل المثال عند الطيران تقوم بإصدار نغمة خاصة... لقد قدمت الكثير من المعلومات لكن ما جعلني أقتنيه أن أكون مثله في الكثير من الأشياء كأن تكون طُيورٌ نهاريَّة النشاط، تُغادرُ مجاثمها ما أن يبزغ الفجر وتنشط في البحث عن قوتها ولا تتوقف عن التنقل والحراك طوال النهار، إلَّا بحال شعرت بالإنهاك أو كي تُنظف ريشها. ثم تختفي ما أن يحل الظلام... هذه هي أنا أستيقظ بنشاطي مع نسمات الهواء العليلة التي تضيف لذلك البزوغ نغما جميلا كبزوغ شمس اليوم... كأنها تقول انظري لهذا اليوم بروعته بعيدا عن ما يؤذيك... كل يوم لك هو فرصة استغلي الجيد منها في رحلة بحثك ودراساتك، هكذا يكون الأمل.

- دام طموحك وأملك ودمت كروعة الحسون... يا حسنائي أظنه سيليق بك هذا الاسم.

-هههه شكرا لك حبيبتي... وأنت ماهو طائرك الذي تشبهينه؟ لكن لا أظن أن أي طائر سيقبل أن تتشبهي به.

وسادة على رأسها تلقتها كرد فعل من دنيا لاستهزائها بها: هذا لأنني خاصة ولا أحد يشبهني كي أشبه أحدا.

-هيا بنا فلنقم نحن بإعداد الفطور لهم اليوم... ما رأيك؟ ليسعدوا بما قمنا به.

-هل لتسعديهما أم ليرى إياد جدارتك في الطبخ؟ أووه مجرد مزحة قالت ذلك وهي تربت على كتفها إثر ضربة وجهت إليها.

يقال أن تعتاد على الروتين شيء ممل... حتى أن الإفراط فيه يعتبر قاتلا... فمن الأفضل أن تغير القليل منه... ويكون تغييره بأسهل الطرق بفعل شيء يحبه الإنسان... كأن يغير طريق ذهابه للعمل حتى وإن كان أكثر مدة من الآخر... كأن يستيقظ الإنسان على غير عادته حتى وإن كان باكرا... أو أن يقوم بإعداد فطوره بدل أن يقوم به آخر على عادته... فحتى إن كان بسيطا فإن ذلك التغيير يحدث تأثيرا كبيرا...

- انظري إلى هذه الطاولة يا زينب أظن أن درسنا الذي قدمناه بالأمس كان فعالا.

- من الآن فصاعدا درس يليه آخر علّهما يكبران وتتغير تصرفاتهما الطفولية... ابنتاي عشرون عاما لازالتا صغيرتان.

- صباح الخير؛ وأخيرا استيقظتم انتظرنا كثيرا لكن لا تتحدثا كثيرا هيا إلى الطاولة لتتناولا ما أعددناه نحن الشيف.

- بدرس واحد أصبحتا شيف... يا سلام.

فلنتركهم على طاولة الصباح مستمتعين بأحاديثهم التي لا تنتهي من ضحك خاصة بوجود دنيا واحمرار للوجنتين كلما تحدثوا عن صابرينال،

ثم بمرور نصف ساعة كل أحد يذهب في طريقه، فالبنتان إلى الجامعة والولد إلى عمله... على فكرة من قوانين تلك العائلة أنه مخصص لكل وجبة مدة معينة لذلك لا تتعجبوا من النصف ساعة... آه تذكرت من يومين فقط أنهت دنيا تسجيلاتها الجامعية وستلتحق بالسنة الأولى تخصص رياضيات، أما عن إياد فتم قبوله في شركة خاصة بعد أيام من وضعه للملف إضافة إلى حرصه الشديد على العمل... لنعد إلى تعليق الجدة والخالة على تصرف البنتين وذكرهما بأنه طفولي وهذا ما قد يسمعه الواحد منا.

لكل منا طفل بداخله... منا من يقتله ومنا من يدعمه... طفل يريد أن يضحك ويمرح ويلهو ويركض غير آبه لشيء... يقلد البعض... أو أن يكون لا يشبه أحدا... يتكلم عن أحلامه وبكل براءة... يأكل ويفرح بالشوكولاتة بكثرة حتى أنه قد يوسخ ثيابه... أو يأكل المثلجات حتى يمرض لا يهمه المهم أن يقوم بما أراده... المهم أنه استمتع... أو أن يجلس فقط لأنه يريد تلك اللعبة وبشدة... قد يمقت البعض من الناس بيننا هذه التصرفات ولا تعجبه... لكنه لايعلم أنها سعادة غيره... ذلك الطفل يرفه عن الكثير... ويعيد الحياة وبالأحرى الابتسامة للكثير... فما الفائدة أن ندثره... ونلزمه الصمت... أو نفرض عليه الهدوء... وما هو إلا سبب السعادة... يكبر الإنسان لكن الشيء الوحيد الذي يصاحبه ذاك الطفل... فلا يكره الواحد منا ذلك البريء ويذمه...

★★★★★

قد يكون صعبا على الإنسان أن يكوّن علاقات بعد فقدان أحدهم... ليس عدم ثقة بغيرهم وإنما قد يكون نادرا إيجاد شخص مثل فقيدهم... للأسف فقد صعب عليها صداقة فتاة أخرى مثل أسيل أو أن تشعر بنفسها فتاة عادية بعد رحيل والديها... رغم كل من كان بجانبها إلا أنها تشعر بفراغ كبير...

في كراس يومياتها كتبت:

يومياتي العزيزة ها أنا عدت بعد أن أمضيت يوما متعبا فبعد أن كان لنا محاضرة في فنون الاتصال خرجنا أنا وجيسيكا نتحدث عن صديقتينا اللتين فقدناهما الواحدة بحادث وأخرى خطفها الحرب... أظن أننا اشتركنا في نفس الشيء، فقد كان صعبا علينا إيجاد البديل ولا زال الكثير منا لايثق في الكثير خوفا من أن يتعرض للخداع مثلما حدث مع الكثير أو كالذي سمعناه...

سألتها حينها عن كل هؤلاء .. فقالت: لم أشعر يوما أنني سعادة أحد. .. حتى أنني لم أكن الخيار الوحيد لأي أحد... لكنني أسعدت نفسي

لم أكن يوما الصديق الحقيقي لأي شخص... فقد غدروني كلما سنحت الفرص... لكنني كنت صديقة نفسي

لم يعرفني أحد يوما... فكل يوم كنت قالبا... وجها ضاحكا ثم في لحظة أصبح حزينا... وكنت كلي غموض... لكنني الوحيدة التي فهمت نفسي

لم يؤمنوا بي أبدا... وكل ما فعلته كان سدا... كل شيء كان هباء منثورا... لكنني وثقت بنفسي

لم أكن يوما تلك الفتاة التي تمناها الكل... لأنني وببساطة أتحمل... والآن أقر أنني مجرد عابر.

وضعت الدفتر في مكانه بعد أن كتبت ما جال في خاطرها من كلمات وما فعلته في يومها منذ بدايته إلى آخر محطة منه...

- دنيا هل لازلت مستيقظة؟.

- نعم، ماذا هناك؟.

- يقال أن البعض منا يملك حاسة سادسة، حاسة الشعور بالشيء والإدراك تجعلنا ندرك أمورا لا يدركها الآخرون... صمتت لبرهة لتواصل حديثها لكن دنيا قاطعتها قائلة:

- ماذا بعد تحدّثي ما الذي تنوين قوله من وراء هذا؟

-أقول أنني أشعر وبقوة أن والداي لازالا حيين وهما يبحثان عني ما أطال وصولهما إلي أنهما لا يعرفان مكاني... وأنا أريد البحث عنهما.

- هههه غريبة أنت؟.

- كفاك استهزاء بي فأنا حقا أريد رؤيتهما ولو مرة واحدة... وأخاف إن أخبرت تيتا أن تغضب علي وقد لا تتحدث معي.

- صحيح أتذكرين قبل سنوات عندما سألتها عنهما غضبت كثيرا... لكن ربما لأنك كنت صغيرة وقد تتقبل الواقع الآن فعلى كل حال يحق لك معرفتهما.

- أتمنى أن لا تغضب سأجرب حظي غدا صباحا... ليلة سعيدة.

★★★★★

المسيحيون - أوكما سموا في القرآن بالنصارى- وفقا للشريعة الإسلامية هم أقرب الناس مودة للمسلمين وعزى القرآن ذلك إلى تعبدهم وعدم استكبارهم. وقد ورد أيضا أن بعضا منهم متعصبون لدينهم وكارهون للمسلمين. هنا اختلاف بين الأديان فكل بدينه.. لكن كلمة اختلاف لا تعني ابتداء الحرب بين الأديان فمن سماحة ديننا أن نحترم حق كل إنسان في التدين حتى وإن لم يكن موحدا، فنحن مسلمون ونحمل رسالة ديننا بأخلاقنا وتعاملنا مع كل إنسان، وليس مع كل مسلم فحسب، فإن كان هناك مسيحي أو يهودي لا يحق لنا التطفل عليهم وأذيّتهم وتحديد مصيرهم في الجحيم. فعلاقة الدين ليست من حقنا لنفرض عليها العقوبات وطرح التسميات فهي خاصية لله، وكوننا أصحاب رسالة فقط من حقنا أن ننصح، أن نوجه، أن نوضح، لا نتهجم ولا نفرض عليهم اعتناق ديننا بالقوة الجبرية.

إن لم نأخذ بأيديهم بإحسان، علينا تركهم بذات الإحسان، فهم يملكون حق الاختيار، (فحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم) كان درعه مرهونا عند يهودي، وكان جاره يهوديا ومع ذلك لم يبادر في أذيتهما، فمثلا عندما نأتي لاختلاف الزهور والورود فلكل زهرةٍ رائحة معينة، ولكل وردة طعمٌ معينٌ، اختلاف الزهور والورود ليس اختلافًا ضديًا، إنما هو اختلافٌ نوعيٌ، فإن كل زهرة تشكّل نوعًا معينًا، ولذلك فالاختلاف بينها لا يشكل

فارقا كبيرا إلا تغيرا بسيطا بعيدا عن دور كل واحدة منها، فلننظر إلى الشيء الإيجابي كأن تكون أخلاقه تعني الكثير... لكن ما الذي أدى بي للحديث عن كل هذا؟.

إذن جيسيكا فتاة مسيحية بالرغم من كل أخلاقها التي تتحلى بها وكل خلق حميد تتمتع به إلا أنها تمقت المسلمين وتحاول عدم الاقتراب منهم، وحتى إن اقتربت لا تريد التحدث عن اختلاف الأديان، وإن حدثها أحد عن دينها أو بادر لقول النصيحة غضبت رغم كل محاولات صابرينال... لن ينتهي الحديث هنا، لكن سنعود إليه لاحقا فقط تذكروا كلامي واربطوا الأحداث.

هاهما تلتقيان في ساحة الجامعة في الوقت الذي اتفقتا عليه، فالامتحانات على الأبواب.

-أهلا بك، جيسيكا هذه دنيا ابنة خالتي ستبقى معنا لبعض الوقت ثم عند بداية محاضرتها ستذهب... دنيا هذه جيسيكا صديقتي سعيدة أن تتعارفا.

- مرحبا بك سررت بلقائك.

- شكرا، أنا أيضا.

- حسنا تعارفتما هيا بنا إلى المكتبة فما زال بيدنا الكثير.

مضت قرابة الساعتين وهما تحاولان الفهم وحل بعض التمارين لتعزيز الفهم.

- علي الذهاب الآن فالمحاضرة على وشك البدأ... جيسيكا نلتقي مجددا. صابرينال ممكن دقيقة.

- نعم ماذا هناك؟.

- تذكرت الآن هل أخبرت تيتا بما طرحته علي ليلا؟

- نعم لكنها التزمت الصمت ولم تجبني قالت لي سنتناقش في ذلك لاحقا.

-عساه خيرا إن شاء الله... إلى اللقاء بالتوفيق.

عادت صابرينال إلى مكانها عابسة الوجه، تساءلت جيسيكا: مالي أراك حزينة؟ هل هناك شيء؟ هلا أخبرتني لقد أقلقتني معك.

- لقد كان تخصّص علوم الاتصال حلمي منذ الصغر أن أتخصص فيه ليس إلا لأن أصبح إعلامية وبذلك قد أستطيع العثور على والديّ أو أن يكون هناك سبيل لعثورهما علي، وقد طرحت الفكرة على جدتي صباحا في نيتي للبحث عنهما لكن أظن أنها لم تتقبل الفكرة بتاتا ودنيا الآن سألتني عما قالته جدتي، لذلك أثارت قلقي قليلا فعبس وجهي... وغيرهذا فلنكمل المراجعة.

- فلتواصلي حلمك ولاتنهزمي فكرة سديدة، وقد أصبت الهدف بحلمك على أمل لقائكم جميعا.

★★★★★

- هل تسمعين ابنة تلك ما الذي تقوله؟.. (من هي تلك نعم إنها أم صابرينال الجدة تيتا لا تريد حتى نطق اسمها لأن مافعلته في ابنتها ليس بالشيء الهين).

- تلك؟ هيه وما الذي تقوله؟ كل يوم قول جديد وأفكار جديدة مع تلك الفتاة هيا أطربيني.

- تقول أنها تريد البحث عن والديها رغم تخليهما عنها، وتشعر أنهما يبحثان عنها وتقول أيضا أن شعورها قوي جدا، على أساس أنني منعتها من فتح الموضوع مرة أخرى وإلا غضبت عليها لكنني صمت اليوم.

- لكن يا أمي ألا تظنين أنها على صواب ثم أنه من حقها أن ترى والديها بعد كل هذا العمر، ولا تنسي أيضا أن هذا سبب من أسباب اختيارها لتخصص الإعلام وقد قبلت بذلك... كوني معها ولو مرة واحدة ودعيها تفعل ما تراه صحيحا، فهي كبيرة وتعرف مصلحتها.

- هل هذا ما ترينه إذن؟. أومأت الخالة زينب برأسها إيجابا.

- تيتا لم يكن علي التدخل لكن أظن أن أمي على حق، طبعا لن ندعها وحدها سنساعدها نحن ونقف إلى صفها.

-إذا كان هذا رأيكما فلنكن معها يدا بيد فسعادتها أولى وليكن ماتريده... والآن كفاك كلاما واستماعا لمشاكلنا، اذهب إليهما إلى الجامعة وأحضرهما بالسيارة فلتخفف عليهما مشقة الطريق اليوم أنا أعلم أنهما تعبتان وقد ذهبتا باكرا للمراجعة.

- حاضر أمرك... والآن ذهبت.

★★★★★

- صابرينة هلا جئت وأخبرتنا بكل ما وصلت إليه من أخبار عنها. قالا ذلك وهما في حديقة المنزل ينتظران قدومها بفارغ الصبر... أسرعي يا بنت.

- ألا زلتما لم تتعلما الصبر... كأنه لديّ الكثير من المعلومات ما أحمله الآن قد لا يساعدكما كثيرا... لكن لنحاول.

- حسنا هات ما لديك... لقد نفد صبري.

-إ..ذ..ن ما وجدته أنها انتقلت للعيش مؤخرا في قرية من قرى ألمانيا وهي تدرس بجامعة أوغسبورغ أي تخصص الله أعلم... والآن انتهى ما كان لدي من كلام.

- ألمانيا إذن سننتقل للعيش هناك... لدي أصدقاء يمكنهم إنهاء إجراءات السفر في أقرب وقت.

- أظنها فكرة جيدة لكن ماذا عن دراسة صابرينة؟

- أمي دعك من دراستي يمكنني مواصلتها هناك وأخيرا حلمي سيتحقق، شكرا لك من قلبي صابرينال.

- فتاة غريبة.

★★★★★

السعادة قرار بيدك

السعادة لها عدة أشكال وأحجام مختلفة، أما التعاسة على شكل واحد وهي الدموع.

- لأكمل سعادتك عليك اليوم بعد مجيئي لأخذكما بالسيارة أظن أن تيتا قبلت عرضك.

-هل يصدق هذا؟ كيف قبلت هذا وهي التي كانت رافضة لهذا.

- لم تكن رافضة لكنها التزمت الصمت، وطبعا لولاي لما كان هناك قبول أو شيء من هذا القبيل اشكريني.

- شكرا لك إذن... لحسن الحظ أن ابن خالتي موجود.

- أي وأنا هل نسيتني؟ وأنا أيضا عند خروجي من المحاضرة الأولى اتصلت بها لأقنعها فوجدت أنها تقبلته، لكن كان بودي أن تكون مفاجأة لك... لكن هذا المشاكس أفسدها علينا.

- ياغيورة أنت شكرا جزيلا لك ولحسن حظي أنك بجانبي وكلكم معي.

- وصلنا.

- شكرا لك إياد قالتا ذلك وهما تنزلان من السيارة.

يقال أن السعادة تأتي على أشكال قد تكون قفزة نحو الأعلى أو دموع فرح، كل وفرحته كل وكيفية إبدائها.

- تيتاااااا دخلت البيت وهي تنادي جدتها ثم أخيرا ارتمت بين أحضانها: هل قبلت؟ لم أصدق لحد الآن لكن إياد ودنيا كررا ذلك عشرات المرات، أشكرك جزيل الشكر أعلم أنك تريدين سعادتي لكن والداي هما أيضا سعادتي.

- فلتقومي بما يستلزمه الأمر ونحن وراءك... بإذن الله سنجدهما وسنجتمع بهما مجددا إن أرادا ذلك.

- لكن تيتا... لماذا تخليا عني وقد كنت أول مولود ينتظرانه منذ زمن؟.

- هل من جديد؟ عندما تجدينهما اسأليهما ولا أنكر أنهما سيجيبان.

★★★★★

يومياتي دعيها لا تكن بيني وبين نفسي إن أخبرتك بكل ما أحمله من أسرار فسأرتاح لا أعلم ما أحمله من أوجاع وكل ليلة أقيم حربا داخلية لكن ما أعرفه أنني صاحبة ابتسامة تخطت الكثير منذ سنين ولا أحد يعلم بي إلا نفسي فلتعلمي أيضا:

أن أصعب لحظة في حياتي حينما ابتعدت عن والديّ... لم أكن أتخيل أن تأتي أخرى أصعب منها... لكنها كانت الأعسر يوم فرقت الحرب بين قلبين تعاهدا على نزع حرف الراء منها... لم يتمنيا يوما أن يكون هناك دخيل بينهما إلا الموت... لم أكن أعلم أأنه اختبار أم أنها علي تعسرت... لم أكن أستطيع النوم من رعب البيت...كل ليلة أتخوف من فقدان أحد... لكنها رحلت هي وإلى الأبد... ثم الآن أراني أعيش في مدينة غريبة والأدهى من هذا أن أعز صديقة لي فيها بين الحياة والموت... رغم اختلافنا إلا أنها أحلى الصديقات... كل شيء مختلط أحاول الاستيعاب... تراه في نهاية الطريق سأدخل من أي باب... أسيكون بابا من الزجاج يظهر لي كل

شيء لكن إن انكسر جرحت... أم أنه باب يودي بي إلى حديقة تملؤها الزهرات... لا أدري أيهما الأجمل أفي أوانها تنكشف الحقيقة... أم أنني سأصبر عليها تكون أيسر اللحظات...

صحيح أنه بعد يوم متعب لنا نوم وراحة لكن كانت ليلة صابرينال اليوم في المشفى بجانب صديقتها...

أصيبت جيسكا بحادث مرور فظيع وهي ذاهبة بسيارتها الجديدة إلى جامعتها... حادثها كان كفيلا أن تموت ويودي بحياتها لكن شاء الله لها النجاة وأن تعيش بين الحياة والموت، قال الأطباء أن حالتها ستكون معقدة كأن تكون جليسة الكرسي لبعض الوقت لأن تستعيد عافيتها هذا ما أرعبها قليلا فقد يكون صعبا عليها أن تتقبل حالتها تلك بعد مفاقها...

بعد أن اطمأنت عليها عادت إلى منزلها لجلب بعض الأغراض، ثم أن تتناوب عليها تلك الليلة وتذهب إلى الجامعة فهي أقرب إلى المشفى من المنزل وراحة صديقتها أولى...

جلست صابرينال بجانب السرير وهي تتشبث بيد جيسيكا وتتلو على مسامعها القرآن... مضى أسبوع وهما على تلك الحال، الأولى طريحة الفراش والثانية تتناوب عليها مع عائلتها بعد الانتهاء من دوامها... ثم وأخيرا بدأت حالة المسكينة تتحسن وقد أبلى الدواء حسنا هذا ما طمأنهم به الأطباء...

كانت العائلة حينها سعيدة بعد طمأنة الأطباء لهم، حتى أن جيسكا بدأت بتحريك يديها وقد فتحت عينيها لكن لدقيقتين ثم أغلقتهما...

- لقد أعلمنا الممرضون أنك هنا كل يوم تسهرين بجانبها وتقرئين عليها شيئا من كتابكم، من صرّح لك، أم أنك تريدين لها أن تكون مثلك؟... إنها لا تهمك ولا يخصك شيء ثم إننا وكلنا ممرضة تتناوب عليها... يمكنك الذهاب شكرا لك هيا اجمعي أغراضك.

- العفو ولو هذا واجبي أنتظرها حتى تستفيق ثم أذهب.

- وهل يوصيك دينك بكل هذه المبالغة؟ إنها أيام وستقوم... ارحلي.

- بل يوصيني بأكثر من هذا كأن أحترمكم وأنتم تشمونني، وأن لا أذكر خيري الذي فعلته لابنتكم وأن يكون بيني وبين ربي لا أنتظر شكورا.

- كفاك حديثا هيا اخرجي.

- تقوم بالسلامة إن شاء الله.

هل كان جزاء فعلي أن آخذ مثل ذلك الكلام السيء؟ ما الذي فعلته أنا غير أنني قمت بقراءة ما يشفي القلب والجروح؟ لن أتوقف عن زيارتها سأكون بجانبها كلما علمت أنهما غير موجودين، لحسن حظي أنني أخذت رقم الممرضة معي.

- قد نكون مرفوضين بين الناس لا نعلم سببا لهذا، لكن ماعلينا أن لا نكون عبئا على أحد فلندع أخلاقنا تتكلم عنا وسوف أقنعهم بحسن نيتي... قالت ذلك بغضب وهي تنزع عنها الحجاب.

- ما الذي حدث معك؟.

سردت الحكاية أو ما حدث مع عائلة صديقتها لدنيا ثم أجابتها:

- لاعليك لكن مثلما قلت دعي أفعالك تتحدث عنك هذا أفضل حلّ لكن لا تعودي اليوم، فغدا عندك امتحان سيحدّد انتقالك إن كنت على قدر مسؤولية تسيير برنامج تلفزيوني إن شاء الله ارتاحي الآن ثم غدا سنذهب معا بعد الجامعة أطمأن عليها ونعود معا، لا تقولي لي سأبقى معك وإلا حدثت مشكلة.

- نعم هكذا أفضل للأسف جيسكا لن تجتاز الامتحان، طهورا إن شاء الله وشفاء عاجلا يا رب دعواتي لها... والآن سأذاكر لنلتزم الصمت وإلا لن نسكت حتى يفوت الأوان.

★★★★★

- أمي هناك أخبار أخرى تقول أن لها صديقة في مشفى قريب من جامعتها ترتاده كل يوم... عساه خير.

- في أي وقت تذهب إليه؟.

- في الساعة الرابعة مساء تقريبا كل يوم.

- هل رأيت صورتها؟ أو تعرفين وجهها لنستطيع زيارة المشفى فأراها.

- لا لم أستطع رؤيته بوضوح لكن هناك شبه كبير بينكما.

- إذن غدا مساء سنزور المستشفى حتى وإن لم نرها، سنتصدق ونعود لعل تلك الصدقة تنفعنا بالوصول إليها.

- يارب.

- متشوق لهذه الزيارة حتى أرى ابنتي فلذة كبدي، فقد كنت السبب في فراقها عنا... اعذروني كنت سببا لتعاسة الجميع أعدكم أننا سنكون عائلة سعيدة، سأستعيد ما هدمته السنوات وأبني أحسن مستقبل لعائلتي الصغيرة وأكون أبا لأحلى ابنتين.

- لتدم لي خير أب أرى به النور وجمال الحياة.

★★★★★

للإنسان حاسة شعور غريبة... يشعر فيها ولو بأبسط الأشياء وقد يكون ذلك عجيبا... لصدق ذلك الشعور حينما يتحدث معك عنه... وما أروعه من إحساس صادق...هل تراه سيؤدي بها إلى صواب الطريق؟... أم أنه مجرد شعور قد نتعرض لخيبة امل بمجرد عدم حدوثه؟... أم أنه شعلة أمل تجعلنا نطمح، نأمل، نتمنى؟... ماذا إن لم يحدث أسيتلاشى ذلك التفاؤل مع مرور الزمن؟... قد يكون الكلام سهلا بمجرد الحديث عنه... لكن أن تشعر به فهذا أقوى من كل هذا... قد يكون كلامي هذا هباء لكن كثيرمنا من يشعر بهذا الإحساس...

منذ استيقاظها صباحا وهي تحس أن لقاءها بوالدتها عن قريب، لم يراودها هذا منذ زمن لكن شعورها طغى على كل شيء اليوم، حتى أنه منحها القوة لاجتياز الامتحان لتسعى إلى التفوق.

كان امتحانها أسهل مما يكون عليه... كانت المادة أفضل المواد لها والأحب إلى قلبها... ثابرت واجتهدت لتحاول الوصول إلى ذلك المنال... ثم بعده اتجهت إلى المستشفى بعد أن وردها اتصال من الممرضة تطلب منها القدوم عاجلا، أخبرتها أنها ستكون عندها بعد أقل من ساعة فهي تنتظر ابنة خالتها لإنهاء امتحانها، فقد اتفقتا على زيارتها معا.

في الطريق أخبرتها بما قالته الممرضة وأسرعتا إليها وصولا إلى المشفى.

- ما الأمر المستعجل؟ أجيسيكا بها شيء؟ هل هي بخير؟ أخبريني من فضلك فقد أفزعتني.

-لا هي بخيروأحسن لقد استيقظت منذ ساعات وكانت عائلتها بجانبها، ولقد غادرت منذ دقائق فانتهزت الفرصة واتصلت بك.

- آه شكرا لك والآن هل يمكنني زيارتها أم أنها قد عادت مجددا إلى النوم.

- كلا لا تزال مستيقظة لكن هل يمكنني أن أتحدث معك لدقيقتين فقط قبل أن تدخلي إليها؟

- نعم أنا أسمعك تفضلي.

- بينما كانت العائلة مجتمعة في غرفة جيسيكا صدفة مررت من هناك، ثم سمعت جيسيكا تقول أنها حينما كانت في الغيبوبة كانت تسمع صوتا جميلا بجانبها يقرأ عليها وهي تطلب منهم أن يعيدوا عليها تلك القراءة الجميلة وبذلك الصوت الحسن... الصراحة أنني أيضا أعجبت بصوتك وبتلك التلاوة لكنني لم أود إخبارهم بذلك لأنني أعلم مقتهم لك، نسيت أن أقول لك أنني أخبرت جيسيكا بذلك الأمر.

- شيء جميل أن أسمع كل هذا الكلام منك وقد أدخل البهجة إلى قلبي سعيدة أنا بك وبما فعلته... شكرا لك وألف شكر إن أردت شيئا فلا تترددي في الاتصال بي... مع السلامة.

- نجحت أختي في أول اختبار لها وأول هدف أحسنت.

- لا تشكريني وإلا احمررت خجلا... هيا بنا إلى الغرفة 106.

طبعا الغرفة 106 أين كانت تنام فيها جيسيكا نظرا لتكرار اسمها كثيرا أو ما نعتت به لنقول رقم الغرفة.

- مرحبا حبيبتي كيف حالك؟.

- بخير مثلما ترينني أحاول أن اكون جيدة.

- سلامتك حبيبتي ستتعافين عن قريب إن شاء الله، وأنا إلى جانبك لا تخافي.

- شكرا لك لكنني قد فوت الامتحان أيضا ما هي الحالة التي أنا عليها الآن؟.

- لعل في ذلك الخير لكن هيا تعافي بسرعة، ولك فرصة الاستدراك على فكرة الجميع يعلم بأمرك ويتمنى لك الشفاء حتى الأساتذة قد أعلمتهم بالأمر، وقالوا لي أنه لا توجد مشكلة هنا، ما علينا سوى العمل معا لتنجحي في امتحانات الاستدراك.

- سلامتك أختي وأنا سأعمل معكما فقط لتقومي بالسلامة.

- شكرا لك دنيا والشكر لقدومك.

-العفو هذا واجبي فأنت بمثابة أختي.

- صابرينال قد قالوا لي أنك كنت تقومين بالقدوم إلى هنا يوميا هل هذا صحيح ؟.

- نعم في كل مرة سنحت لي الفرصة قدمت.

- شكرا لك لكنني سأعتذر لك بدلا عن عائلتي لما حدث معك، فقد أعلمتني الممرضة بهذا وأنت تعلمين ما هي نظرة الكثير منا هنا نحوكم؟ وقد حاولت عدة مرات توضيح الأمور لكنهم لا يشاؤون الفهم.

-لا عليك سوء فهم فقط وإن شاء الله تتحسن الأمور والعلاقات بيننا.

- صابرينال أنا مترددة في طلب ذلك منك لكن...

- هل سأتمكن من قراءة ما كنت أقرؤه عليك؟ هذا ما ستطلبينه مني صحيح ؟.

- نعم هي كذلك لكن من أين لك علم بكل هذا؟.

-عند إنهائي للامتحان اتصلت بي الممرضة تطلب مني الحضور بسرعة لأمر طارىء وعند قدومي أخبرتني بكل شيء... نعم الممرضة.

- والآن هلّا قرأت لي ما طلبته منك.

- طبعا وأتشرف بهذا وهذا ما يسمى بالقرآن وقراءته تسمى تلاوة... والآن بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

{قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا}.سورة التوبة الآية 51

{كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}.

سورة البقرة الآية 216

تلت عليها ما تيسر من القرآن إلى أن حان موعد رحيلها.

- شكرا لك عزيزتي سعدت أنك لم تردّي طلبي.

- لا شكرا فأنا أسعد بكل هذا حبيبتي والآن سأذهب، حفظك الله ورعاك بعينه التي لا تنام.

- موفقة إذن بلّغي تحياتي إلى خالتي وجدّتي... يمكنك أن لا تعودي لأيام إن كنت منشغلة فأنا أشعر بأنني قد ارتحت وأنا أفضل بكثير.

- حسنا سأحاول أن أعود في أقرب وقت، سلامتك.

بينما هما تخرجان من الغرفة اصطدمت عيناها بعيني امرأة تحدّق إليها دون أن تزيل عيناها عنها أرعبها ذلك الأمر ولوهلة أرادت أن تسألها ماذا في الأمر، لكن كان هناك شعور يمنعها من الكلام معها بتلك الطريقة خوفا من أن تجرحها فقد ظنت أنها أمها كأنها تشبه تلك المرأة التي رأتها في آخر لقاء جمعهما... ثم وأخيرا تخلّت عن فكرة الحديث معها.

- إنها هي، إنها هي... كانت تلك المرأة تردد هاته الجملة عند مرورهما من جانبها.

التفتت إليها صابرينال لتسألها لكن دنيا منعتها من فعل ذلك حتى أن تلك المرأة استدارت معطية لها بظهرها لكي لا تكشف دموعها.

- ماذا هناك؟ امرأة غريبة، وهل ستتحدثين إليها بمجرد نظرها والتحديق إليك ماذا دهاك؟.

- دنيا أشعر أنها أمي التي أبحث عنها وأن تلك هي عائلتي، هذا ما شعرت به لذلك توقفت للحديث معها وأنت منعتني.

- ترى أيكون هذا صحيحا لكنك غريبة وإذا أردت فلنعد إليها؟.

- مممم لا دعينا لو كنت أهمها أو علمت أنني ابنتها لأرادت الحديث معي لا أن تديروجهها عندما التفتت.

- قد تكون خجلت من مواجهتك بالحقيقة، فلترحميها صعب على الإنسان أن يخطىء ثم يحاول أن يصحّح، وقد أحسّت بحجم مصيبتها لذلك لم تستطع التحدث.

- أنت على حق فلنصبر قليلا لعلنا نعرف الحقيقة ومن تكون؟.

- هيا بنا أنت متعبة من الامتحان إلى المشفى، والآن أنت تشغلين بالك دع عنك كل هذا بعد أيام ستظهر نتائج الامتحان وإن شاء الله تتوفقين وتقومين بالتربصات والدورات المطلوبة منك لتصبحي إعلامية، وبذلك ستجدينهم ويجدونك بكونك إعلامية متألقة يارب.

- يا الله اسمع مني ومنها.

- وهل ستخبرين تيتا بماحدث؟ لا أظنها ستتقبل الأمر.

- صعب علي إقناعها ولن تصدقني أبدا مهما حكيت وتحدثت.

- إياد تيتا لقد حدثت معنا أشياء غريبة اليوم.

- وهل بناتي بخير؟

- صحيح؟ لن أدعكما وحدكما مجددا إذا.

- ما بكما لا شيء يدعو لخوفك علينا.

روتا كل ما حدث معهما اليوم عليهما وكلهما آذان صاغية يسمعان لما دار معهما.

- لن أدعك تدخلين ذلك المشفى مجددا فهمت ولا تتناقشي معي، أخاف إن أخذتك معها مثلما تركتك عندي ولو كان في قلبها القليل من الرحمة ما فعلت ذلك.

- لكن تيتا.....

قاطعتها قائلة: يكفي كلاما لا أريد سماع شيء سمحت لك بالبحث عنهما وهذا أقصى ما أستطيع فعله، والآن ركزي على دراستك لتحققي هدفك الذي حلمت به وتجدينهما إن شاء الله... سعادتك قرار بيديك إما أن تواصلي جهدك ويكون النجاح نجاح بلقائهما وآخر برقيك.

- صدقت .

★★★★★

-لماذا لم تتحدثي معها؟ ألم تكوني تريدين هذا؟ لماذا أدرت وجهك ماذا دهاك؟.

- نعم لكنني خفت خجلت ولم أستطع تمالك نفسي ومنع دموعي.

- وهل في كل موقف ستقومين بهذا؟ لأقل أنني سأتوقف هنا إن كنت لن تستطيعي منع دموعك.

★★★★★

لن يكون لي تعليق يشبه حالتي هنا مثلما فعلت سابقا مع انتهاء كل فصل، لكنني الآن سأودعكم لأن هذا سيكون آخر تعليق لي بعد نهاية كل فصل وروايتي أوشكت على الانتهاء .

رغم كل شيء سيبقيا والداي

يستطيع الإنسان أن يعادي الكثير من الناس ولن يسمح أو يغفر لهم،
لكن للوالدين حالة من السعادة والغفران مهما فعلا.

إذن سيكون قد مرّ أسبوع على آخر أحداث حدثت مع صابرينال والجميع لكنها الآن غيرذلك... تابعوا آخرفصل تابعوا أحداثه بكل دقة، لم أتحدث فيه وفي الرواية ككل عن الحب لأنني أردتها أن تكون عكس الروايات الأخرى منفردة باختلافها لكن لا يمنع أن لا يكون هذا قضية اجتماعية.

اليوم وبعد طول انتظار سيكون الإعلان عن نتائج آخر امتحان ليكون لصابرينال الفرصة بالتسجيل في عدة من التربصات كالقنوات التفيزيونية أو في الإذاعة الوطنية، على حسب التخصص المراد أو أن تعيد امتحاناتها من جديد.

ذهبت وهي على أمل رؤية اسمها معلقا وماذا أيضا؟ في لائحة الناجحين وبامتيازفرحت لذلك الفوز وهي تتصل بجدتها مبشّرة إياها بامتيازها ... والآن ستتوجه لاختيارتخصصها بأن تصبح إعلامية في إحدى القنوات التي ستختارها، وبأول امتحان لها إن اجتازته بجدارة سيكون لها نصيب في القناة... لكن فرحتها لم تكن لتكتمل حتى أن اتجهت إلى صديقتها لتزورها...

عند وصولها إلى جانب الغرفة سمعت صراخا يخرج من هناك في بداية الأمرلم تشأ الدخول لكن بمجرد سماع نحيب صديقتها هرعت بالدخول وكانت المفاجأة!

لقد تحجبت جيسيكا أي أنها أسلمت بعد أن اقتنعت اقتناعا تاما بالإسلام وخصوصا بعد أن حدث لها ذلك الحادث وما رأته من معاملات حسنة لصابرينال تجاه والديها رغم صراخهما الكثير عليها، أما صراخ الآن فكان على جيسيكا لفعلتها الغريبة تلك، كيف لها أن تضع الحجاب دون علمهما وماذا إن رفضا ألم تتخذ حسبانا لذلك؟.

- مابك؟ أجننت أم أن بك مس؟ إنها تلك الجرثومة التي أبعدتك عنا تماما كلما أبعدناها عنك عدت إليها لا شك أنه أصابك وسواسها؟.

-لا دخل لها أنا اقتنعت بالإسلام لوحدي وأردت أن أكون مسلمة، وقد قرأت الكثير عنه أو عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ورغم كل ما فعله اليهود فيه كان صبورا وهذا ما رأيته في صابرينال عندما تصدّت لكم، لا تتحدث بتاتا إلا باحترام، وشتمكم لها كانت تسكت عن كل هذا، وعن القرآن فقد ساعدني كثيرا في راحتي كلما تلته عليّ ارتحت وفرحت وأبهجت أساريري ثم إنني تعلمت تلاوته لوحدي، وكقارئة بصوت جميل وقد تعلمت تفسير الكثير من آياته.

انهال عليها والدها بالضرب لإجابتها له بتلك الطريقة، والتصرف بذلك الجمود وتلك البرودة، تدخلت صابرينال لتنقذ الموقف لكنها كانت ضحية لكل هذا فقد أصابها بجرح في فمها وأصابها بنزيف.

ثم وأخيرا سمع الممرضون الصوت وقاموا بالتدخل لفك الحصار على البنتين وإنقاذهما، هذا ما جعل أمن المشفى يخرجون الأب وباقي العائلة من الغرفة ثم قاموا بتطهير جرح البنتين.

- اعذريني فلم أكن أعلم أن إسلامي سيجعل لك الكثير من المصائب على رأسك.

-لا تقولي هذا فقد أحبك الله وهداك إليه، ما عليك إلا الصبر لكن كيف تعلمت كل هذا في أسبوع.

- عندما خرجت من هنا آخر مرة طلبت من الممرضة أن تشتري لي بعض الكتب، فطالعناها معا ثم عندما أنهيت مطالعتي للكتب طلبت منها أن تشتري لي الحجاب وها أنا أرتديه وكلي فخر به.

- برافو لك ومبارك عليك حجابك، ربّ مصيبة تخلق شيئا جديدا.

- آنستي.

التفتت صابرينال إلى الصوت وهي تبحث عن مصدره، كانت الممرضة فريال مثلما سمّت نفسها بعد اعتناقها الإسلام.

- نعم فريال تعالي مبارك عليك إسلامك ألف حمد وشكر لله.

- هناك أمر سيء، لقد كانت ردة فعل والد جيسيكا أنه قرر عدم دفع فاتورة المشفى، وقد طلب مني أن أخبر جيسيكا بعدم الحضور إلى المنزل بعد خروجها، وأنه لن يعود هو والعائلة لزيارتها أبدا ومهما كلّف الثمن.

- لا حول ولا قوة إلا بالله سأدفع الفاتورة بدلا عنك وسآخذك معي إلى منزلي.

- لا لا يمكنني الذهاب سأبقى هنا.

- لن يحدث هذا أبدا.

- صابرينال يمكنني أن أصطحبها للعيش معي فأنا أعيش في بيت لوحدي وسيكفي كلتينا... مرحبا بها.

- نعم صابرينال دعيني أذهب معها ولن أكون عبئا عليك هذا أفضل.

- مثلما تشائين، لكن دعيني أوصلك أنا وأبيت معكما أنا ودنيا الليلة لأطمئن عليكما ثم أذهب... سأتصل بدنيا وإياد ليأتيا ثم نذهب وضّبا أغراضكما.

هاتفي يرن اليوم وبكثرة تراه من يكون هذه المرة عساه خير... إنها صابرينال: - ألو.

- ألو دنيا من فضلك اعط الهاتف لجدتي أنا أحتاجها في أمر ضروري للحديث معها، وقد اتصلت عليها مرارا وتكرارا لكنها لا ترد.

- نعم يمكنني لكن ماذا هناك؟.

- فيما بعد سأخبرك فقط عندما يعود إياد من العمل، تعاليا إلى المستشفى وأحضري معك أغراضك سنبيت الليلة مع الممرضة وجيسيكا. أعلم أنني قد أتعبتك معي لكن لأيام فقط.

- حسنا هاكي جدتي.

تحدثت مع جدتها عن كل ما حدث في المشفى ثم طلبت منها الإذن للمبيت في بين فريال، جاوبتها جدتها بالقبول على شرط أن تعلمها إن حدث أمر طارىء.

طمأنتها صابرينال بذلك وهي ممتنة لها بذلك.

- بعد قليل سيأتي إياد ليقلنا إلى بيتك أعطنا العنوان فقط وعنك يا جيسيكا...

- جنى نعم جنى أصبح اسمي.

- أما عنك يا جنى فلا تيأسي سيتقبل والداك الأمر، وتعودين إلى أحضان عائلتك مجددا، تصبحون عائلة واحدة إن شاء الله فقط توكلي على المولى وتمسّكي بدينك.

- إن شاء الله.

- الآن سأذهب لدفع الفاتورة ثم الحقا بي فابن خالتي على وشك الوصول.

بعد الانتهاء من كل الإجراءات استقرّت جنى في بيتها الجديد مع ممرضتها والبنتين، مضت سهرتهن أجمل سهرة في تذكّر أيام الجامعة وأيام المشفى وحكت الفتاتان عن كيفية إسلامهما واقتناعهما بالإسلام وكان الفضل الكبير لدنيا وصابرينال أن هداهما الله.

وكان أول هدف وأمنية لصابرينال من أجل قدومها إلى ألمانيا قد تحقق.

مع كل صباح يأتي نسيم جديد، رائحة هواء جديد يحمل معه سببا لإكمال ذلك اليوم، طاقة لمواصلة أول المشوار... في كل صباح أمل جديد فرصة جديدة، فقط لمن عرف الاستغلال استيقظت صابرينال لتقوم بأول دورة أو تربص لها مع قناة التلفزة الألمانية للعمل فيها، جمعت أوراقها بعد أن حضّرت نفسها وتناولت وجبة إفطار كاملة...

ركبت سيارتها للحاق بموعدها وفي الحين كان الاتصال من جدتها تخبرها بأنها توجب عليها العودة اليوم فالغد عطلة الأسبوع وككل عطلة هناك اللقاء مع بقية القرية في حديقتها وهذه المرة سيكون الدور على الجدة لتحضير القهوة والبعض من الحلوى دون أن تنساها بالدعاء لها بالتوفيق... أجابتها بالقبول مع اصطحاب الفتاتين طبعا.

أما عن جنى لم يكن أمر تقبلها أن تكون جليسة الكرسي من الأمر الهيّن، فقد ذرفت الكثير من الدموع ثم لتستطيع أن تبقى قوية قالت لم ولن أذرف إلا لترا من الدموع.

أما عن فريال فصباحا لحقتها ورقة إقالتها من المشفى تحت إمضاء المدير بعد الفعل الذي قامت به مع المريضة.

وعن دنيا فقد كادت نتائج الامتحانات أن تودي بحياتها الدراسية، لكنها بتميز استطاعت الخروج من المأزق، وانتقلت إلى سنتها الثانية في تخصص الإعلام الآلي.

على فكرة أيضا صابرينال موازاة مع دراستها كان عليها دروس القيادة ثم أخيرا حصلت على الرخصة والسيارة من جدتها في يوم واحد.

لنعد الآن إلى قصتنا:

وصلت صابرينال إلى المحطة التلفزيونية ثم انتظرت لدقائق لتتفضل إلى اجتياز أول تربص لها... كان التطبيق أسهل مما تصورته، تألقت في تقديمها لنشرة فنية تجريبية واستحقت نيل الدرجة الأولى وأن تقدم لها بطاقة التصريح لمساعدة مقدمي البرامج لأسبوعين، فإن استطاعت المنصب باستحقاق أخذته...

بعد أن أنهت تقديمها مرت على البنات للذهاب إلى القرية... ساعدت البنات في حمل جنى في الدرج لوضعها في السيارة.

كانت أحاديثهن تخفف عن جنى الكثير: ضحك ونكت تقال أنست جنى في مصابها وكانت الطريق أسرع مما يمشي عليه الزمن.

عند الوصول استقبلهن الجميع بصدر رحب وابتسامة تطمئن البال حتى تشعر الفتاتان بالراحة، وطبعا هذا ما شعرتا به منذ دخول باب المنزل، لم يشعرهما أي أحد أنهما في بيت غريب، كانت محبة أعضاء العائلة بينهم مرآة تعكس هدوء البيت حتى بوجود الخادمة معهم فهي كفرد من أفرادها.

بعد أن أدى الجميع صلاتهم جمعتهم طاولة العشاء لسدّ جوعهم واستعدادا لبدإ أول أيام رمضان في الغد.

كان الجميع سعيدا ولم تكن أكثرهم سعادة إلا جنى فلطالما حكت لها صابرينال عن تقاليدهم وما طالعته في كتبها كان أدهى أن يزيد الشغف والحماس أكثر.

إذن كان التحضيرللسحور منذ الليل وكان التعاون بين الجميع لتستمتع جنى بذلك ويكون شغفها في محله.

- هيا بنا جنى لقد أنهينا من إعداد السحور، أعلم أنك انتظرت هذا اليوم طويلا.

- حسنا أنهي سورتي وآتي.

- ننتظرك على الطاولة إذن.

★★★★★

- صابرينة هيا أسرعي سيؤذن بعد قليل.

- قادمة أنا أحضرعجتي تعلمين أنها طعامي الوحيد.

- لا تتغيرين أبدا هيا هيا.

★★★★★

عند قدوم رمضان يتهلّل الجميع به، تحتلي البيوت أحلى الزينة مرحبّة به... يتسابق الجميع على ختم القرآن ومساعدة الفقراء ونيل الأجر... بعيدا عن بحثهم للراحة، فشهر ويزول لكن تبقى حسناته... في بيت صابرينال الأمر غيرذلك فكل واحد له شيء يختلف عن عامه الذي مضى فهي أول مرة تصوم بعيدة عن سوريا وعن الوطن، وعن صديقتها

أسيل وعن الخالة وأبنائها فهذا أول رمضان لهم من دون العم يعقوب، ذهب وترك آثاره كأن يقوم بإفطارلجميع من في الحي بأول يوم، وهذا ماقرّرت العائلة فعله رغم عدم صيام جميع من في القرية إلا أنهم قرّروا عمل مأدبة عشاء بعد آذان المغرب حتى لا يشعر الجميع بغرابة ذلك وقد يتعجبون.

كان التحضيرللمأدبة كأنها أول مرة تقام وخاصة وهم في الشهر الفضيل فستتنوع المأكولات، فهذه شوربة وهذا أكل تقليدي أما عن السهرة فحلوها بكأس تاي مع البقلاوة التركية التي ستكون من إعداد الخادمة لأن لها أصولا تركية.

منذ الصباح تلقّت صابرينال مكالمة من مدير القناة يطلب منها المجيء ليقوموا بتصوير حلقة الغد...

جمعت ما تعلمه من أخبارعن المشاهيرعبرمواقع التواصل الاجتماعي وقد ساعدها في ذلك زميل في العمل. ثم قامت بإلقاء البرنامج، وطبقت ما أمرت به والتزمت بكل شيء: سيداتي سادتي نشكركم على المتابعة نلقاكم كل يوم ما عدا السبت والأحد على الساعة الثامنة مساء في قناتكم المفضلة، تحياتي... كانت معكم صابرينال محمد في التقديم.

ما إن أنهت كلامها حتى لاقت تصفيق وتقدير الجميع لها ولمجهوداتها بكونها أول مرة تقدم حصة حقيقية، وقد قامت بالأمر بكل جدارة.

شكرتهم جميعا وبالخصوص المدير على ثقتهم فيها، متوعدة إياهم أن تؤتي كل مالديها في الأيام القادمة.

كان يومها متعبا ناهيك عن أنه أول يوم رمضان، وكان يجب أن تبقى في المنزل لكن عملها قبل كلّ شيء... وبعد الانتهاء من حصتها قامت باصطحاب جنى إلى المشفى مثلما طلب منها الطبيب.

- إن صحّتها تتجاوب مع الأدوية، فقط عليك الاعتناء بها وإبقاؤها بعيدا عن الضغوطات النفسية، فقد تسبب لها حالة من الاكتئاب ويعود ذلك سلبا على صحتها.

- لن تطلب هذا مني يا دكتور فهي صديقتي.

- أشكرك إذن نيابة عنها.

وصلت البنات إلى المنزل وكلهن شوق لإفطار اليوم الأول ولإقامة الوليمة. أذّن المؤذن لصلاة المغرب وقام أفراد القرية بالجلوس في الطاولات وتنظيم أنفسهم بعد أن أمضوا العشية في الحديقة باللّعب مع أطفالهم والتنزه فيها... بعد الانتهاء من تناول الطعام قام المسلمون بأداء صلاة المغرب جماعة.

كانت السهرة أروع من أن تذكر ترسخها الذكريات فقط، طبعا كان في عروض من تقديم مواهب القرية والمفاجأة أن قامت صديقات صابرينال باحتفال بسيط من أجل منصبها الجديد آملين لها دوام الاجتهاد والنيل.

- لقد كان يومي جميلا رغم كلّ تعبه... قالت ذلك وهي تستلقي على

فراشها، لكنني سعيدة بهذا... لكن انتظرن طول الصباح ونحن معا كيف قمتن بإحضار الكعك.

- يا غبية أنت ألا يوجد هاتف؟ طلبناها من بائع الحلويات وأعطيناه العنوان ليحضرها بينما أنت تقومين بتحضير الطاولات، هذا كل ما في الأمر.

- أنت الغبية قالت ذلك وهي ترمي بوسادتها على دنيا... لكن علي أن أشكركن جميعا، فقد كنتن منبع الطاقة في الأستديو، وبهذا أكون تخلصت من التوتر قليلا.

- إلى النوم إذن وراءك يوم طويل، غدا إن شاء الله.

- تصبحن على خير.

★★★★★

- نسيت إخبارك أنني رأيت أختي على قناة تلفزيونية ستقدم برنامجا عن الأخبار الفنية.

- حتى الآن لماذا لم تناديني لرؤيتها كي أتثبت من صحة كلامك.

- وهل أنا أكذب لقد قالت أن اسمها صابرينال محمد وأنا صابرينة محمد يعني نفس الاسم حتى أنها تشبهك قليلا... لكنها لم تقدم كان مجرد إعلان.

- وهل طلبت أنا منك كلّ هذا، قلت فقط أعلميني بموعد الحصة.

- إنه على الساعة الثامنة مساء من كل يوم، عدا عطلة الأسبوع على قناتي المفضلة.

★★★★★

- متى موعد عرض برنامجك يا ابنتي.

- على الساعة الثامنة إن شاء الله لا تنسوا متابعتي.

- وهل سنبقين هناك؟.

- نعم حتى ينتهي المخرج من تقديم العمل يمكنني العودة وقد أصل في تمام المغرب إن شاء الله.

- موفقة.

- آه تيتا نسيت أن أخبرك قالت أن فريال ستعود إلى منزلها اليوم هي وجنى ثم ستعودان بعد يومين إن شاء الله.

- هما لم تتعوّدا على الصيام وكيف لي أن أتركهما تذهبان لا يمكن.

- لا فقد كان اليوم الأول سهلا عليهما قاومتا، ثم لا تنسي فهذا واجب عليهما مثلما وجبت الصلاة... ثم لا تكثري عليهما فيكرهان العودة.

- الذي تريانه أفضل لهما المهم أن باب المنزل مفتوح لهما على الدوام.

- أكرمك الله من كرمه والآن سأذهب، نلتقي مساء إن شاء الله... إلى اللقاء.

لم تشأ الجدة أن تترك الفتاتان تعودان إلى منزلهما، لكن وعدتاها بالعودة في غضون يومين... أوصلهما إياد قبل أن يوصل أخته إلى جامعتها واشترى لهما ما تحتاجان إليه من ضروريات...

- إياد أنا خائفة على صابرينال فهي ترى كوابيس هذه الأيام، ترى أن أمها خطفتها من بين أحضان جدتي وهما تبكيان بحرقة خوفا من ابتعادهما،

لكنها لم تبال لأي شيء أيعقل هذا؟ حتى أن المرأة التي في المنام هي نفسها التي رأيناها في المستشفى أتصدق؟.

- عجيب لكن قد يكون مجرد أضغاث أحلامن أهم شيء أن لا تحكي لتيتا عن هذا فقد تأمرها بالمكوث في البيت وتمنع عنها الخروج إلا إذا كانت بجانبها، وكيف لها أن تخرج وقد أكملت عامها التسعين.

- لا تيتا لا تعلم بشيء حتى هي لم تود إخبارها.

- والآن إلى جامعتك قد وصلنا انزلي وإلا سأتاخر عن العمل.

- اه نسيت ما هو عملك؟.

- هل ستغضبيني ككل مرة وأنت تعلمين جوابي المعتاد المهم أنه المكسب الحلال.

إياد لم يشأ أن يخبر ابنة خالته وأخته عن عمله، حتى أنه لم يجد ضرورة في إخبارهما لكنهما لا تتوقفان عن سؤاله على عمله وهما تعلمان أنه لا يريد التحدث عنه حتى لو استلزم الأمر.

- هذا رقم من؟ من المتصل؟.

- ألو إياد.

- نعم من معي أنا صديقك فؤاد من الأسير أنسيتني؟.

- ماذا فؤاد؟ قال مستغربا لا لم أنسك وكيف لي أن أنساك فأنت حلاوة القهوة رغم مرها.

- أشكرك وكيف هي أحوالك؟.

- بخير الحمد لله ماذاعنك؟ أخبرني أين أنت وماذا تفعل الآن؟.

- الحمد لله أنا الآن في فرنسا أتجول، تعبت من مرارة السجن وقد مرضت كثيرا لذا استأذنت من مديري وأخذت قسطا من الراحة لأيام ثم أعود إلى سوريا.

- جميل إذن استمتع وأنا الآن أصل إلى عملي اعذرني سأقطع الاتصال لكنني سأعاود الحديث معك ما إن أنتهي من دوامي.

- موفق أخي في أمان الله.

★★★★★

في كل منزل شخص لا يُسمع له صوت إلا إذا طلبنا منه ذلك أو استلزم الأمر، قد يكون ذلك على الفطرة وقد يكون عقدة بسبب نوبة حدثت، هكذا كان حال الخالة زينب لا تتحدث إلا قليلا منذ وفاة زوجها رغم خفافة دمها ولطافتها... وفاة زوجها الذي كان بالنسبة لها ذراعا فقدته، عاشا معا قساوة الحرب ومرارة الجوع والفقر، عانا معا وهما صامتان اتكأ الواحد على الآخر لكن في النهاية قطعت الذراع الأيمن لكل واحد منهما وافترقا...

- زينب تقول صابرينال أن برنامجها سيكون على الثامنة ولم يتبقّ إلا نصف ساعة هلا شغلت لي التلفاز.

- حسنا أمي.

أكملت الخالة إعداد لائحة المأكولات المطلوبة منها مع الخادمة، فهي طباخة ماهرة وجلّ وقتها يكون في المطبخ والخادمة في مساعدتها وتتعلم منها... مرت النصف ساعة المنتظرة ثم جلستا أمام التلفاز بجانب الجدة وهن مبسوطات بتقديم صابرينال لبرنامجها الجديد، مع العلم أن القناة ألمانية ومديرها مسلم لذلك لم يكن لصابرينال مشكل مع دينها، وقد وجدت راحتها التامة هناك.

★★★★★

لم تكن فقط الجدة والخالة تتابعان البرنامج فقد كانت هناك أمها أيضا تتابعها وبكل حب وتتأمل في كل زاوية من وجهها، عينيها، أنفها، فحصتها كأنها تراها لأول مرة أو ككل أم ترى مولودها لأول مرة، تهاطلت عليها الدموع بسعادة لرؤية ابنتها مجددا... ترى هل ستقبل برؤيتها؟ هل ستقبل بالعيش معها؟ أم أنها لن تتخلى عن جدتها؟ هل ستسامحها؟ .

- أمي لقد وجدت عنوانها ساعدني سامي في العثور عليه لأنه صديق إياد ابن خالتي في العمل.

- رائع سنذهب في أقرب وقت إن شاء الله فقط أعلمي السائق قبل يوم من ذلك.

- حاضر أقول له لنذهب غدا لكن في أي وقت؟ فهي تنهي عملها على الثامنة مساء.

- أقول نذهب إلى أمي أتحدث معها ثم نقوم لها بمفاجأة في الاستديو.
- أوكي.

★★★★★

لا يشعر بالنجاح إلا من تعوّد على التحدي والإصرار، ومن كان بجانبه من يشجعه ليواصل وليستمر يعطيه دافعا للوصول إلى القمة. كلما قامت هي بعمل جيد ولو بسيط لاقت تحفيز الجميع، كلمات التعبير عن سعادتهم بها وإن أخطأت قدموا النصيحة.

وهذا ما فعله أصدقاء صابرينال وكل من شاهدها على التلفاز أو أصدقاء على السوشيل ميديا فقد تلقّت الكم الهائل من الرسائل على إبداعها وحسن تقديمها للأخبار بطريقة سلسة وبهدوء تام، لم يظهر على وجهها أي علامات من التوتر وهذا دليل على حبها لدراستها لتواصل مهنتها كذلك، أملوا لها بحسن المشوار وأن تتألق بكونها إعلامية شابة. فرحت بتهنئة الجميع لها واعدة إياهم بتقديم أحسن مالديها وأن تكون عند حسن ظنهم بها.

بينما هي جالسة مع العائلة في سهرة جميلة على أضواء القمر وردتها رسالة على الفايسبوك تخبرها أن جنى قد وضعت منشورا جديدا على صفحتها بعد غياب طويل ... متلهفة لقراءة ما كتبت ثم كانت كلماتها: علني أتكئ عليه فأصل ...ألن يكون طريقي أسهل... نعم إنه محركي الأفضل... إنه كرسيّ وعصاي...تحطمت مرة والآن أنا عليه أتكئ...

سقطت أخرى والآن به أتمسك... حكايتي هكذا كانت...تعلمت أنني لن أنهزم ولو فشلت... أولها أنني بحادث مروع أصبت...ثم إنني الآن بالكرسي التصقت... لن يفارقني مهما حاولت... لن أكون مبتورة الرجل...لكن علي أن أتحمل... لن أتمكن من الحراك لكنني بإمكاني صعود الجبل... ثانيها أنني للإسلام اعتنقت...آمنت بالله وبه رضيت... وأنا الآن أتمتع بروح قوية... تتصدى لكل شيء بقدر...يوما ما إن شاء الله سأصبح أفضل صحفية تنتقل على كرسي متحرك فقط ترقبوا مني ذلك....

- سعيدة أنا بك حبيبتي وبكل رضاك أسعدك الله وحقق لك ماتتمنين..

هكذا كان تعليق صابرينال بالرغم من وجود بعض التعليقات الساخرة على المنشور من طرف أصدقائها القدامى إلا انها تصدّت لهم.

واصلت بقية السهرة معهم ثم ودعتهم لتخلد إلى النوم فغدا يوم طويل ينتظرها كعادة الأيام الأخرى.

على تمام الساعة العاشرة صباحا قرع جرس البيت هرعت الخالة لفتح الباب، ثم المفاجأة أن رأت اختها وزوجها واقفين أمام الباب...

التزمت مكانها ولم تستطع التحرك إلى أن لحقت بها الجدة وهي تنادي: زينب من في الباب؟

إنها الفاجعة نعم كيف لها أن تغيب لسنين ثم تعود مرة أخرى؟ أي وجه ستقابل به أمها وابنتها...؟

- ما الذي أتى بك؟ أغلقي الباب زينب لا تدعيها تدخل.

- لكن أمي أمي من فضلك دقيقة فقط اسمعيني.

-لا ارحلي بعيدا لا أريد سماع صوتك ولا ماذا ستقولين ابتعدي.

- فقط دقيقة اسمعيني ثم يمكنك الحكم.

- اغلقي الباب.

أغلق الباب بقوة تصدت له لكنها لم تستطع ثم سمعتها الجدة تقول:- إذا أردتم هذا فلن أرحل من هنا حتى تعود صابرينال.

- ماذا؟ لا يمكن ...افتحي لها الباب لنتحدث ونرى ما الذي تريده لكن لا يمكنها الدخول إلى بيتي.... فتحت الباب ثم قالت: هاتي ماعندك ثم ارحلي بسرعة قبل أن تعود.

- أمي قبل رحيلي في ذلك اليوم لم يكن من السّهل عليّ ترك ابنتي وكيف أن أترك فلذة كبدي؟ انتقلت للعيش إلى الحدود السورية علّني أجد فرصة للهرب مع من كان معي في المخيم لم أكن لآخذ ابنتي لتصاب بالأمراض وهي هنا بعيدة عن كل جرثومة قد تصيبها أو إطلاق رصاصة يمكن أن تسمعها، كنت أخاف أن يتلوث سمعها فلن تستطيع سماع إلا ما يرعب القلوب... وقد كان زوجي يبحث عنه رجل قد يقتله ويقتلنا معه ولا يمكن أن أقبل قتل ابنتي وهي ما زالت صغيرة ولا يمكن أن أودي بحياتها للخطر وأنا أخاف عليها من كل شر.

- أيّ شرّ تخافين منه عليها وأنت تركتها يومها تبكي بحرقة حتى نامت وهي لا تزال تبكي أي رحمة هذه؟

- افهميني ما بيدي حيلة سوى ذلك الأمر وها أنا الآن أعود للبحث عنك وعنها وقد كنت أبحث عنكم لسنين ثم أخيرا وجدتكما، وقد قلت ماعندي ولم فعلت ذلك الأمر، أرجو أن تعذراني وأنت زينب فلتتحدثي قولي شيئا ...لا تقتلوني هكذا.

دخلت الخالة زينب إلى البيت وتركتهم يتشاورون ليتحدثوا براحتهم، تدخّل أب صابرينال ثم قال ما كان عنده وطلب السماح من الجدة ثم لاجدوى من ذاك الكلام، فلم ينفع ما قالوه لها هذا ما أبدته لهما...تأهبا للرحيل بعد أن فشلت كل محاولاتهما لإقناعها، لكنها قالت باستياء:

- توقفا لا تذهبا إليها حتى أطلب منكما ذلك وأتحدث معها حول الأمر فإن عفت عنكما يمكنكما رؤيتها.

- شكرا لك قالا ذلك وهما مبتسمان.

- في صالح حفيدتي لأنها منذ مدة وهي تبحث عنكما حتى أنها درست الإعلام من أجلكما فقط وما فعلته ليس من أجل بكائكما وحججكم... والآن اذهبا بسرعة قبل أن يراكما أحد.

- ماذا فعلت أماه لماذا عاملتهما هكذا لقد جاءا طلبا للصفح وتصحيح الخطإ، وأنت تغلقين الباب في وجههما، كل إنسان يخطىء لكن قلة من يبحثون عن الصواب.

- لقد كان ذلك من أجل إشعارهما بالذنب لا أكثر، أما أنا فلا كلمة لي هنا الأمر يعود إلى صابرينال.

- إن شاء الله تتفهمهما فقد أحرقا قلبي ورأيت في عينيهما تأنيب الضمير وكم أنهما يريدان بشدة ابنتهما بعد كل هذا الزمن.

- يارب؛عندما تعود سأحاول إخبارها ونرى إن تقبلتهما أتصل بهما فنذهب معا إلى القناة لنراها كمفاجأة لها بعد أن آخذ إذنا من الإدارة.

هل يمكن للإنسان أن يتقبل شيئا غريبا من أول دقيقة؟ هل يمكن أن يصدق كل الأحاديث التي تقال له؟ أيعقل أن يتقبل كل ما يقال له؟ ألن يكون كل هذه أكاذيب تروى لمن هب ودب للتخلص من تأنيب الضمير؟ هل كل ماحدث يمكن أن يكون صدفة؟

بعد عودة صابرينال وتناول الإفطار أمسكت بها جدتها لتحكي لها عما حدث اليوم بينها وبين أمها، وأنها قد أتت طلبا للعفو منها وإن قبلت برؤيتها ستتصل بها لتحددا موعدا... ترددت صابرينال في بداية الأمر لكنها قالت: رغما عن كل شيء سيبقيا والداي... سأراهما ولو مرة ألم يكن هذا ما أريده؟ وقد تخصصت من أجلهما فقط.

- راحتك ابنتي... سأتصل بها.

تقبلت صابرينال الفكرة فهذا أمرواقع وإن لم تقبل رؤيتهما فقد يخطفانها في أي وقت، أويذهبان إليها إلى مكان عملها... اتصلت الجدة بأمها وأخبرتها أنها قد قبلت ذلك وأن المدير قد قبل عمل المفاجأة وسيكون ذلك بعد الغد إن شاء الله.

إذن إنه اليوم الموعود وصابرينال لا تعلم بشيء كعادتها ابتدأت صباحها بزيارتها إلى منزل فريال وجنى لتطمئن عليهما، حكت لهما عن ما حدث معها منذ يومين وأن والديها قد وجداها، وهي متشوقة لرؤيتهما لكنها متوترة أيضا، فهي لا تعلم ما يمكن أن تقوم به حين رؤيتهما وأنها لا تعلم متى سيكون ذلك وهي لا تعلم أنه سيكون اليوم... اتجهت إلى مكان عملها وكانت المفاجأة هناك أن التقت بنفس المرأة التي رأتها في المستشفى أهي تتبعها أينما ذهبت؟ أم أنها صدفة مرة أخرى لكن لماذا تيتا معها؟ إذن هي أمها لوهلة لم تعرف ما الذي ستفعله لكن صوت والدها أنقذ الموقف:

- جروتي الصغيرة قد كبرت وأصبح لديها برنامج تقدمه... هل سترتمين في أحضاني كما كنت تفعلين آنفا؟؟.

- أبي! أمي! أيعقل هذا ام أنني أتخيل؟. تيتا هل هذان هما والداي.

- نعم هما كذلك وها هي أختك صابرينة.

كان الجو حارا ليس حرارة الطقس ولكن حرارة التقاء الوالدين بابنتهما واجتماع العائلة مجددا، لم تكن الفرحة كفرحة الإعلاميين والصحافيين باللقاء العائلي الحميم، وكان أوّل خبر يبث في الحلقة طبعا بعد أخذ التصريح من صابرينال وعائلتها.

قد لا يكون الشعور بالفرحة تعبيرا بالكلمات، لكنه إحساس تترجمه دموع إن نزلت في تلك الأثناء... عادوا جميعا معا إلى المنزل لتحضير سهرة مميزة لاجتماع صابرينال بعائلتها وكان المدعو إليها أيضا فريال وجنى، كانت على غيرها من السّهرات رغم كلّ ما حدث من آلام وانكسارات للخواطر لكنها أخيرا جبرت.

لم تشأ صابرينال أن تترك جدّتها فقد اعتادت على العيش معها وهي الآن تحتاج إليها أكثر من أي وقت مضى، لكنها كانت تقضي عطل الأسبوع بجانب والديها وأختها، كانت حياتها أفضل من ما كانت عليه الأحوال بعد طول دهر، وقد سعدت بتواجد أخت بجانبها وما تمنّته كان قد تحقق وقد تألّقت درجة بدرجة وبمرور الأيام نالت جائزة أفضل إعلامية شابة.

أما عن جنى فقد اتصل بها والدها مجدّدا وطلب منها العفو وأن تعود إلى بيتها بعد أن أغلقت عليه كل الأبواب ونفد ما كان معه من مال بعد أن خسر على طاولة القمار، وعن العمل فقد أقيل ولا دخل له الآن وأصيب بالعجز... آه على فكرة قد اعتنق الإسلام وأصبح إماما في أقرب مسجد من منزله... ثم بمرور أشهر من عودتها تزوجها إياد على سنة الله وورسوله، ثم سافر بها إلى هولندا لإجراء عملية جراحية على رجليها لتعود للمشي مجددا.

~رغما عن كل شيء سيبقيان والداي~

هذا كان كلام كل من صابرينال وجنى بعد طلب والديهما بالعودة إليهما، رغم كل ما فعلوه معهما فالوالدان يبقيان عزيزين حتى وإن أخطآ في حقّينا خاصة وإن طلبا الصفح وجب علينا تقبل أعذارهما، فإلا الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطإ... حتى لا ننسى عنوان روايتنا الصابرينال هذا وعد الله.

النهاية .